الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزراة التّعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي ــ تيسمسيلت ــ

معهد الآداب و اللّغات قسم اللّغة العربيّة و آدابها

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في اللّغة و الأدب العربي

موسومة بـ:

دراسة كتاب:

فصول في النقد العربي وقضاياه

لـ: محمد خير شيخ موسى

من إعداد الطّالبتين:

- ✓ عشار صبرينة
- ✓ نذير إيمان

لجنة المناقشة :

د/بن بغداد أحمد.....	رئيسا
د/ هدروق لخضر	مشرفا و مقرّرا
د/فتوح محمود.....	عضوا مناقشا

السّنة الجامعيّة : 1440-1441هـ/2019-2020م

شكر و عرفان

يقول الله تعالى : " **لئن شكرتم لأزيدنكم**"

ويقول علي بن أبي طالب: " إن النعمة موصولة بالشكر والشكر متعلق بالمزيد ، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد"

فالحمد لله الذي وفقنا لاتمام هذا العمل المتواضع " والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

فبعد شكر الله عز وجل ينبغي أن نشكر أستاذنا المشرف الذي كان له الفضل في اختيار هذا الكتاب ، وكذا كل من ساعدنا ومد يد العون لنا وذلك عملا بقوله : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

بطاقة فنية:

اسم المؤلف:محمد خير شيخ موسى

عنوان الكتاب:فصول في النقد العربي و قضاياه

الطبعة:الأولى

دار النشر:دار الثقافة الدار البيضاء المغرب

سنة النشر:1404 -1984

حجم الكتاب: متوسط الحجم

عدد الصفحات:271 صفحة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

الأدب يسبق النقد ، فلولا وجود الأدب لما وجد النقد الأدبي ، فإن كان الأدب صنعة إبداعية فإن النقد هو الذوق لذلك الإبداع ، فالعلاقة بين الأدب والنقد علاقة تكاملية ، الأدب بحاجة إلى النقد وكذا النقد بحاجة للأدب ، فلا يمكن نجاح أحدهما بمعزل عن الآخر .

كما هو معروف عن النقد أنه أمر فطري في الإنسان يميز بفطرته بين الخير والشر ، وبين القبح والجمال ، وبين اللذة والألم ، كما هو علم يقوم على دراسة الأعمال الأدبية وتفسيرها وتحليلها ، ثم موازنتها بغيرها ، والحكم عليها بالجودة والرداءة لبيان قيمتها .

ويعتبر كتابنا " فصول في النقد العربي وقضاياه " موسوعة نقدية تناول فيها الكاتب " محمد خير شيخ موسى " مجموعة من القضايا النقدية التي شغلت النقاد العرب القدماء ولا زالت لها أصداء قوية ومؤثرة في عصرنا الحديث، فما هي النقاط التي تطرق لها الكاتب في كتابه هذا ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل سرنا وفق الخطة التالية :

- مدخل : تناولنا فيه البطاقة الفنية للكتاب ، والسيرة الذاتية والعلمية لصاحبه
- مقدمة وكان عبارة عن تمهيد حول أهم الموضوعات التي تناولها الكتاب
- دراسة فصول الكتاب كل فصل على حدى ومناقشتها ، والتي كانت كالتالي :

✓ الفصل الأول : معالم الحركة النقدية عند العرب وتطورها حتى القرن الرابع للهجرة .

✓ الفصل الثاني : في النقد التوثيقي عند العرب

✓ الفصل الثالث : القدم والحداثة في الشعر

✓ الفصل الرابع : السرقات الشعرية

✓ الفصل الخامس : المعيار الديني والأخلاقي في النقد العربي

✓ الفصل السادس : الملامح البيئية في النقد العربي

- نقد وتقويم : جاء فيه مدى تطابق العنوان مع المتن ، والحكم على الكتاب وأهم الآليات المستعملة في الكتاب
- خاتمة : كانت عبارة عن أهم ما توصلنا إليه من خلال دراستنا لهذا الكتاب

أما عن الأسباب التي دفعتنا لاختيار دراسة هذا الكتاب :

- الرغبة في تكوين زاد معرفي
- الأهمية الكبرى للنقد في الساحة الأدبية والفكرية
- معرفة موقف " محمد خير شيخ موسى " من القضايا التي تناولها في كتابه

وفي دراستنا لهذا الكتاب اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، واعتمدنا على بعض المراجع أهمها:

- تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف
- النقد الأدبي ، أحمد أمين
- الصناعتين ، أبو الهلال العسكري
- المعنى في النقد العربي القديم ، حسين لفتة حافظ

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في ظل دراستنا هذه :

- صعوبة الحصول على المراجع وذلك بسبب غلق المكتبات العامة والجامعية في ظل هذه الظروف
- قلة التواصل مع الأستاذ المشرف بسبب جائحة فيروس كورونا

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذ " هدروق لخضر " الذي كان له الفضل في اختيار الكتاب والحصول على النسخة الورقية منه ، وإلى كل من قدم لنا يد العون .

تيسمسيلت في:09سبتمبر 2020

* عشار صبرينة

* نذير إيمان

مدخل

ترجمة الكاتب:

محمد خير شيخ موسى ناقد وباحث في الأدب والنقد والتراث ،من سوريا ولد عام 1943 في تدمر متحصل على الدكتوراه في اللغة العربية بمرتبة الشرف في جامعة دمشق،وديبلوم تربية إجازة حقوق الجمعية التي ينتمي إليها النقد الأدبي عام 1984[1].

من ابرز مؤلفاته :

فصول في النقد العربي وقضاياه

فن القصة دراسة نظرية وتطبيقية

نظرية الأنواع الأدبية في النقد العربي

النثر الفني في النقد العربي

النزعة القصصية في الأدب العربي القديم دراسة في النشأة والتطور والموقف النقدي من القصص وله الكثير من الأبحاث والدراسات المنشورة في المجلات العلمية المتخصصة في الأدب و النقد والتراث كمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،ومجلة جامعة دمشق ، وجامعة الإمارات العربية المتحدة ،وجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء [2].

[1] – تعذر علينا الحصول على معلومات كافية لصاحب الكتاب الا هذا القليل الذي حملته من هذا الموقع www.awu.sy

[2] –www.awu.sy

نبذة عن الكتاب :

قسم محمد خير شيخ موسى كتابه إلى ستة فصول مسبوقة بمقدمة استهلها بالحديث عن التراث النقدي الذي ألح بأنه إلى حاجة ماسة إلى إعادة النظر في أساليب دراسته وأهم الجهود التي كانت بدايتها عند طه إبراهيم في كتابه "تاريخ النقد العربي عند العرب "[1].

كما نجده أكد على التفريق بين تاريخ الأدب ودراسته ،وتأكيد الانتقال من العام إلى الخاص في الدراسة المنهجية ،ثم انتقل إلى الحديث عن النقد العربي فنجد عنوان فصله الأول بمعالم الحركة النقدية عند العرب وتطورها حتى القرن الرابع ناقش فيه مجموعة من النقاط أهمها طلائع النقد العربي المدون ،النقد الأدبي في القرن الرابع ما بين النظرية والتطبيق في النظرية النقدية.

جاء الفصل الثاني معنونا بالنقد التوثيقي عند العرب تطرق فيه إلى رواية الشعر العربي وتدوينه وتحدث عنه عند بعض النقاد أمثال الآمدي والأصفهاني .

أما الفصل الثالث كان بعنوان القدم والحداثة في الشعر تناول فيه مواقف النقاد من القديم والمحدث

انطوى الفصل الرابع تحت عنوان السرقات الشعرية تحدث فيه عن أراء النقاد وجهودهم في مسألة السرقات الأدبية ،أما الخامس فكان المعيار الديني والأخلاقي في النقد العربي تناول فيه الدين والأخلاق في الشعر العربي ومواقف أوائل النقاد فيه

الملامح البيئية في النقد العربي كان هذا عنوان الفصل السادس والأخير من الكتاب تحدث من خلاله عن العوامل البيئية وأثرها في الشعر والشعراء

وختم كتابه بذكره لأهم المصادر والمراجع التي ارتكز عليها في بناء هذا الكتاب

[1] – فصول في النقد العربي و قضاياه ، محمد خير شيخ موسى ،دار الثقافة، الطبعة الاولى ، 1984 ص7.

القراءة الدلالية والسيميائية لواجهة الكتاب

الكتاب ذو حجم متوسط وذو واجهة مزدوجة الألوان اختلط فيها اللون البنفسجي الفاتح مع اللون الأبيض، جاء العنوان "فصول في النقد العربي وقضاياه "في وسط الكتاب داخل مستطيل ابيض مكتوب بخط الثلث ،باللون البنفسجي الغامق ،أما اسم المؤلف "محمد خير شيخ موسى"جاء في أعلى الكتاب في الجهة اليمنى مكتوب بالخط الفارسي ،بلون بنفسجي غامق ، وفي أسفل الكتاب في الجهة اليسرى كتبت دار النشر "دار الثقافة "

الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه الدراسة

إذا كان الموضوع الأساسي في هذه الدراسة هو النقد ،فهو يتتبع تاريخ أهم القضايا النقدية التي شغلت بال النقاد ، فالحقل المعرفي بالضرورة يكون النقد

الدكتور محمد خير شيخ موسى كتب هذه المحاضرات وألفها وجمعها في كتاب فصول في النقد العربي وقضاياه ، معتمدا في دراسته على أهم كتب النقد التي سبقته ككتاب تاريخ النقد العربي لمحمد زغلول سلام سنة 1964،وكتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب لاحسان عباس سنة 1971،وكتاب طه إبراهيم المعنون بنفس عنوان كتاب إحسان عباس سنة 1974وهناك دراسات أخرى جاءت بعد كتاب فصول في النقد العربي و قضاياه منها:كتاب المعرفة التاريخية للنقد القديم لمجدي توفيق سنة2008 وكتاب النقد الأدبي لمحمد سعيد الغامدي سنة 2008.

القيمة العلمية لعمل الكاتب وأهم المصادر التي استقى منها مادته :

محاضرات محمد خير شيخ موسى هي عبارة عن جمع ووصف لمعلومات استقاها من كتب تحدثت عن النقد العربي وأهم قضاياه ومن أهم الكتب التي اعتمدها :

كتاب فحولة الشعراء للأصمعي

الشعر والشعراء لابن قتيبة

طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي

الأغاني للأصفهاني

تاريخ النقد الأدبي عند العرب لطه إبراهيم

الموازنة للآمدي

عيار الشعر لابن طباطبا

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري

الدواعي التي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب

الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي أتقاها "محمد خير شيخ موسى "على طلبة قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أثناء تدريسه مادة النقد العربي ، ومن أهم الدوافع التي أدت به إلى تأليف كتابه "فصول في النقد العربي وقضاياه "ما يلي:

- إعطاء بعض الشيء من النقد لطلاب الأدب والنقد ودارسيهما
- أهمية القضايا التي شغلت النقاد العرب القدامى والتي بقى صداها في العصر الحديث ، والتي لم توف حقها من البحث المعمق و الدقيق

- النظر إلى أهم القضايا النقدية ، وإحكام الصلة بين أراء النقاد المختلفة فيها ، ومواقفهم منها
- تصحيح بعض المفاهيم النقدية حول التراث النقدي

البحث عن النظرية النقدية الأصلية ، وذلك من خلال دراسة النقد دراسة جديدة ومعاصرة .

تقديم وعرض

دراسة الفصل الأول

معالم الحركة النقدية عند العرب

يبين محمد خير شيخ موسى بأن تاريخ النقد الأدبي لدى كل الأمم يبدأ مع ظهور أول أثر من آثار الإبداع الأدبي لأحد أبنائها ،وهذا ما وصل إلينا عن بعض أهل الجاهلية وباقي العصور الأدبية الأخرى ، وهو ما بث في كتب الأدب والنقد و مصادر دراستها ، والذي اعتنت به المراجع الحديثة التي تهتم بتاريخ النقد العربي ،غير أن الأحكام و الأخبار لا يمكن أن ترقى إلى مرتبة النقد الحقيقي بسبب الشك الذي يحيط بها بجانب افتقارها إلى أهم مقدمات و دعائم النقد والتي على رأسها التدوين ،الذي ينظمه ويجعله فنا أدبيا قائما بذاته .فالناقد المتخصص والأثر النقدي المدون هما العنصران الأساسيان اللذان يحددان بداية النقد الحقيقي فالكاتب يقر بأن أول أثر نقدي مدون وصل إلينا هو كتاب"فحولة الشعراء "للأصمعي

فهذا الكتاب ينسب إلى الأصمعي لكنه لم يقم بتدوينه بنفسه وإنما تكلف بذلك تلميذه أبو حاتم السجستاني [1]وهذا الكتاب دون فيه جميع الأجوبة عن أسئلة تلاميذ الأصمعي حول أرائه عن الشعراء وأحكامه على شعرهم ولم يظهر كتاب مدون قبل وفات الأصمعي ،إذ نقرأ في الصفحة الأولى من هذا الكتاب قول أبي حاتم :"سمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب غير مدة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية وسألته قبل موته :من أول الفحول ؟قال :النابغة الذبياني فلما رآني أكتب كلامه فكر ثم قال :بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس له الخطوة والسبق ،وكلهم أخذوا من قوله ،واتبعوا مذهبه "[2]فالكاتب يقول أن مرحلة النقد الأدبي المنظم والمدون لدى العرب قد بدأت في المرحلة بعد موت الأصمعي ،فهو من كان يدرك أن ما يستمليه تلميذه سيؤول الى أثر مدون و منسوب إليه مما دعاه إلى التردد في إبداع الحكم النقدي فكانت أحكامه وأرائه صادرة من خلال تخصيصه الشعر و الشعراء جل وقته واهتمامه فبهذا عد ناقدا متخصصا .

[1] – ديوان الأصمعيات، ابي سعيد عبد الملك بن قريب ،دار صادر بيروت، ط3 2011، ص7.

[2] – فصول في النقد العربي و قضاياه،محمد خير شيخ موسى،دار الثقافة،الدار البيضاء ،الطبعة ،1 1984، ص15 ،نقلا عن فحولة الشعراء ،ص9.

والمبدأ الذي أقام الأصمعي عليه إحكامه هو مبدأ الفحولة إذ جعله معيارا نقديا للموازنة بين الشعراء وتفضيلهم وتقديم بعضهم على بعض ونجده أوضح خصائص هذا المبدأ في رده على تلميذه ابي حاتم اذ سأله :"فما معنى الفحل؟قال: ان له مزية على غيره ،كمزية الفحل على الحقاق .قال :وبيت جرير يدلك على هذا :

وابن اللبون اذا ماكن في قرن لم يستطع صوله البزل القناعيس [1]

الفجولة عند الاصمعي =قدم العهد +قوة الأسلوب +متانة النسج

نجد محمد خير شيخ موسى أن المعتزلة هي التي استجابت للتغيير في حركة الأدب استجابة نقدية عبرت عن ثقافة العصر وعلى رأسهم **بشر بن المعتمر** في صفيحته الشهيرة التي نقلت إلينا من الجاحظ و العسكري والتي كانت عبارة عن أول اثر نقدي مدون يفصح عن صلة أهل الاعتزال بالنقد الأدبي ، وفي هذه الصحيفة عدد من القضايا النقدية حيث نجده بدأ بتحليل لحظات الإبداع الفني تحليلا نفسيا فقال :"خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ،فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الإسماع ،و أحلى في الصدور ،وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ، ومعنى بديع ، واعلم من ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد و المجاهدة ، والتكلف والمعاودة"[2]

وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن الطبع و الصنعة فقال :"فكن في ثلاث منازل :فان أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ،وفخما سهلا ،ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ،و إما عند العامة .....و أخفها عليك"[3].

[1] – ديوان جرير،دار صادر بيروت، ط3 2011، ص250.

[2] – فصول في النقد العربي وقضاياه ،محمد خير شيخ موسى ،ص20، نقلا عن البيان و التبيين، ص 135-136.

[3] –المرجع نفسه ،نقلا عن البيان و التبيين ،ص136-138.

وعرض أثناء ذلك المعنى بالقافية ونبه على أهمية التوافق بينهما و أيضا ركز على علاقة اللفظ بالمعنى وأكد ضرورة التناسب ما بين الحال و المقال في العمل الأدبي وتعمق الكشف عن علاقة الكلام ألفاظه ومعانيه فصاحب الكتاب يقول إن "بشر"قد تحول بالنقد من مجال الحكم الضيق والسريع إلى ميدان التحليل الشامل و العميق و أن معظم الآراء النقدية التي حاول "بشر" إرسادها في صحيفته ترتبط بطبيعة نظرة أهل الاعتزال إلى دور الأدب في نشر أفكارهم عن طريق الجدل والمناظرة و الخطابة.

و يرى الكاتب أن الأصمعي وبشر بن المعتمر كانت لهم جهود نقدية هامة ،غير أن هناك من يرون أن محمد بن سلام الجمحي هو أسبقهم ،وأن كتابه "طبقات فحول الشعراء ""أول كتاب في تاريخ النقد الأدبي عند العرب"[1]فهذا الكتاب هو أهم أثر نقدي في تاريخ النقد العربي ،إذ أن ما أول ما يلفت انتباهنا في هذا الكتاب هو فكرة تقسيم الشعراء إلى طبقات إسنادا إلى بعض المقاييس المرتبطة بالزمان :طبقات الجاهليين و الإسلاميين ،أو بالمكان :طبقات شعراء القرى العربية ، أو الدين :طبقة شعراء اليهود ،أو الأغراض الشعرية :طبقة أصحاب المراثي

وقد اعتمد ابن سلام في اختيار هؤلاء الشعراء على مبدأ الفحولة والشهرة ،فنجد صاحب الكتاب يقر بأن فكرة تقسيم الشعراء إلى طبقات كانت معروفة قبل ابن سلام و قيمة كتابه تجلت في المقدمة التي تناول فيها مسألة توثيق الشعر العربي و تحقيقه

ثم ذكر أسباب نحله ودوافعه كما نجده تطرق الى تاريخ الأدب العربي وأصول اللغة ولهجاتها المختلفة ونشأة النحو العربي ،

فبهذا اعتبر محمد خير شيخ موسى ابن سلام أول ناقد عربي يطرح مثل هذه القضايا ، ومن هنا أطلق على كتابه صفة الكتاب النقدي .

[1] – فصول في النقد العربي و قضاياه، محمد خير شيخ موسى ،ص23 ،نقلا عن النقد المنهجي ،محمد مندور، ص 12 ،وانظر النقد الأدبي احمد أمين ،ص438.

يرى الكاتب أن أهم الكتب ذات الصلة القوية بموضوع النقد الأدبي هي بعض كتب الجاحظ ، أهمها كتاب البيان والتبيين الذي طرح فيه عدة قضايا نقدية أهمها لغة الأدب ، وتحقيق التناسب ما بين شكل العمل الأدبي ومضمونه .

كما نجده طرح قضية اللفظ والمعنى ، فقدم اللفظ على المعنى وفضله عليه فهو يرى أن المعاني القائمة في الذهن غير جديدة بالتقرير مادام صاحبها غير قادر على إبرازها في حلة لفظية أو شكلية تجعل منها أدبا حقيقيا ، والشعر صياغة وضرب من التصوير مادته الأولية هي المعاني .

أما عن كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الذي خص النقد الأدبي حيث تناول في مقدمة هذا هذا الكتاب عدة قضايا نقدية أهمها قضية القدم والحداثة في الشعر حيث اعتبر الجودة هي مقياس المفاضلة بين الشعراء فنجده يقول " فكل ما أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ولم يصنعه عندنا تأخذ قائله أو فاعله ولا حداثة منه كما أن الرديئة إذا ورد للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدم " .[1]

نظر ابن قتيبة في علاقة اللفظ بالمعنى فقسم الشعر الى 4 أضرب فضرب حسن لفظه ومعناه ، وآخر حسن لفظه دون أن يكون وراءه معنى عميق ، وثالث حسن معناه وقصر به لفظه ، وأما الرابع فهو ما تأخر لفظه ومعناه معا .

ثم انتقل إلى دراسة بناء القصيدة العربية وتعليل منهج الأغراض فيها فنجده ربط ذلك بأثر البيئة البدوية .

الكاتب يرجع الفضل إلى ابن قتيبة في توسعه في الآراء النقدية وتطبيق بعضها وهذا ما نجده واضح في النقد العربي بعده .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 29 ، نقلا عن الشعر والشعراء 10/1 .

ابن معتز والنقد الأدبي هو شاعر جرى في شعره على سنة المحدثين ومذاهبهم مثل مذهب البديع فقال فيه مسلم ابن الوليد " وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ،وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم أبو تمام ، فانه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه "[1].

هذا المذهب ثارت عليه ضجة كبيرة ما دعى ابن معتز إلى تأليف بعض الكتب النقدية منها , محاسن شعر ابي تمام و مساويه ، وكتاب طبقات الشعراء المحدثين ، ظف إلى ذلك كتاب البديع ، وهذا الأخير عدّه الدارسين "أنه أول كتاب في النقد المنهجي عند العرب "[2]. وهناك معارضين ألحدوا " أنه لا يمس النقد إلا بصورة عارضة ".[3]

لقد بلغ النقد الأدبي في نظر الكاتب نضجه في القرن الرابع وظهر ذلك في تأليف الكتب حول صناعة الشعر أو النثر ونقدهما ، ودراسة الشاعر دراسة نقدية متكاملة وأيضا البحث في الظواهر الأدبية وكل هذا أدى الى تبيين مبادئ النقد وأصوله ، وتوضيح مشكلاته وقضاياه ، وتحديد مصطلحاته الأساسية .

في هذا القرن بينت لنا المكتبة النقدية عن اتجاهين من اتجاهات النشاط النقدي ، الاتجاه الأول وهو الجانب النظري الذي اهتم بدراسة فن القول وأهم خصائصه والبحث في أصول نقده وقواعده ، وأهم هذه الكتب كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي .

نجد محمد خير شيخ موسى يقول بأن الغاية من وراء تأليف هذا الكتاب تكمن في تعليم الشاعر المبتدئ أصول صنعة الشعر ، فنجد ابن طباطبا بدأ كتابه بتقديم تعريف الشعر الطبع والموهبة أساس الشاعرية والوزن هو الميزان الذي يفرق بين الشعر والنثر كما يبين أدوات الشعر في قوله : "

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ،المرجع السابق ، ص 31 ، نقلا عن كتاب الأغاني 30/9 .
[2] – المرجع نفسه ، ص 32 ، نقلا عن دراسات في الأدب العربي ، ص 100.
[3] – المرجع نفسه ، ص 32 ، نقلا عن تاريخ النقد العربي 121/1.

وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسلة وتكلف نظمه ... ومنها التوسع في علم اللغة ، والبراعة في فهم الإعراب ، والرواية لفنون الآداب والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه "[1]

ثم انتقل في رسم أصول صياغة الشعر وتقسيمه إلى قسمين جسن ألفاضه ومعانيه ، أما عن عيار الشعر وميزانه فقد وضع مجموعة من القواعد حاكمة له وهي , صحة المعنى ، وحسن اللفظ ، واعتدال الوزن .

كما أننا نجد ابن طباطبا في كتابه تناول دراسة عميقة لبناء القصيدة وأكد على وحدتها ، وهذا ما أثار إعجاب الباحثين به ، فنجد محمد غنيمي هلال يقول في هذا الصدد , " ولعل أروع ما تنعكس فيه نظرية الوحدة العضوية لأرسطوا في النقد العربي هو قول ابن طباطبا وأحسن ما ينتظم القول فيه انتظاما ."[2]

اشتمل هذا الكتاب عدة آراء نقدية تدور حول التشبيه وأقسامه ، والسرق وأصوله ، والصراع بين المحدث والقديم في الشعر ، واعتمد في هذا الكتاب على الشواهد الشعرية التي بلغت ثمانمائة بيت وبهذا يكون ابن طباطبا قد أفاد كثيرا من النقاد بعده أمثال الجاحظ وابن قتيبة وابن معتز ، وذلك لذوقه الأدبي الرفيع وتجربته الشعرية الطويلة أهلته لينصب لنفسه معلما للشعراء ، بينما حاول " قدامة ابن جعفر " تنصيب نفسه معلما للنقاد وذلك لوضعه كتاب نقد الشعر الذي يظهر فيه ارتباط ثقافته بالثقافة اليونانية فهذا الكتاب قسم إلى ثلاثة فصول ، حيث بدأ فيه بتعريفه للشعر حيث قال : " إنه قول موزون مقفى يدل على معنى " [3] ، وقدامة ابن جعفر بنى كتابه على أساس هذا التعريف ، ففي فصل هذا الكتاب قام بعملية التوليف فجعل منها أربعة عناصر مركبة : إئتلاف اللفظ مع

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، المرجع السابق ، ص 35 ، نقلا عن عيار الشعر ، ص 4.

[2] – المرجع نفسه ، ص 36 ، نقلا عن النقد الأدبي الحديث ، ص 21 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 38 ، نقلا عن نقد الشعر ، قدامة ابن جعفر ، ص 3.

المعنى، فائتلافه مع الوزن ، وإئتلاف المعنى مع الوزن فائتلافه مع القافية ، كما نجده عرف النقد فقال : " علم جيد الشعر من رديئه " [1].

أما الفصل الثاني فحصه بالحديث عن نعوت عناصر المادة الشعرية .

أما الفصل الثالث فتحدث فيه عن العيوب التي تلحق ، فصاحب الكتاب يرى

بأن منهج قدامة بن جعفر يقوم إلى أساس النظر في حد الشعر أو حد النقد ، وهذا الكتاب أثار ضجة كبيرة ما أدى ببعض الأدباء إلى تأليف كتب ناقدة له ومن بين هذه الكتب : " تبيين غلط قدامة في كتاب نقد الشعر " [2] للآمدي .

فكتاب قدامة ابن جعفر يعد محاولة جادة لوضع نظرية محددة ومتكاملة للنقد الأدبي بغض النظر عما يكون قد خلفته هذه النظرية من آثار سلبية ، وهذا ما يتضح في كتب الصناعتين " لأبو هلال العسكري " ، فهذا الكتاب تجلى فيه الأثر البلاغي في النقد العربي ، ففي هذا الكتاب لا نجد إلا القسط القليل من المادة النقدية الخالصة ، بل طغت عليه المباحث البلاغية في جل أبوابه ففي الباب الأول تحدث عن " الإبانة في موضوع البلاغة في اللغة والقول في الفصاحة "

أما الباب الثاني فنجد العسكري تحدث فيه عن مفهوم النقد وهذا يدل على تأثير قدامة فيه ، فتحدث عن الكلام وشرائط حسنه وقبوله فقال : " الكلام أيدك الله يحسن بسلامته وسهولته ، ونصاعته وتحيز لفظه وإصابة معناه "[3] كما نجد ه ردد أقوال الجاحظ في حديثه عن علاقة اللفظ بالمعنى ، وانتقل بعد ذلك إلى الشعر فلم يتعد تعريفه حد قدامة ، أما في الفصل الثاني انتقل إلى التنبيه على خطأ المعاني وصوابها .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ،المرجع السابق، ص 39 ، نقلا عن المرجع نفسه ، ص 1.
[2] – المرجع نفسه ، ص 40 ، نقلا عن معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، 89/8.
[3] – المرجع نفسه ، ص 41 ، نقلا عن الصناعتين ، أبو الهلال العسكري ، ص 55.

أما الباب الثالث فتحدث فيه عن كيفية نظر الكلام ، والقول في فضيلة الشعر ، أما الباب الرابع فدار الحديث فيه عن البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك .

إن قيمة هذا الكتاب تتجلى فيما اشتمل عليه من فنون بلاغية ، فبهذا عد أحد كتب البلاغة العربية في أطوار نشأتها الأولى وقبل انفصالها النهائي عن النقد ، وهو ما ذهب إليه محمد خير شيخ موسى .

يرى صاحب الكتاب بأن الكتب النظرية في النقد العربي كانت معظمها تصب في الاتجاه البلاغي ، بينما كتب النقد التطبيقي اتسمت بطابع أدبي وذوقي ، فالنقد التطبيقي هو ذلك الفن الأدبي الذي يتناول الآثار الأدبية بالتحليل والدراسة ويسعى لشرحها وتوضيحها وتقديرها بالاعتماد على عدد من القواعد المنهجية والأسس الموضوعية السليمة [1] .

إن مناهج هذا النقد مختلفة ومدارسه متعددة ، ولا يمكننا التمييز بينها إلا نوعين رئيسيين أولهما يهتم بالجانب النظري اهتماما فلسفيا أو وصفيا ، فالناقد التطبيقي لا يهتم بالتأمل النظري وجل اهتمامه ينصب على الأثر نفسه ، ويتمتع الناقد التطبيقي بمجموعة من الخصائص أهمها : الذوق الفني الرفيع ، وسعة الأفق الثقافي ، والقدرة على المقارنة والموازنة ، والإحساس الحضاري بتغيير الطرق والمذاهب والأساليب ما بين عصر وآخر ، وأديب وغيره والفطنة على إيراد الشواهد المناسبة في مواضعها وغيرها من الخصائص ومن بين بين أهم الكتب التي وصلت إلينا من تراثنا العربي القديم كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وقد أبدى القدماء إعجابهم الشديد بهذا الكتاب فابن خلدون يقول في هذا الصدد : " وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني وهو ما هو ، كتابه الأغاني جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم ، وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ، وهو لعمري ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 43 ، نقلا عن النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ص 1.

الأحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها "[1].

كذلك نجد المعاصرين وقفوا وقفة إكبار وتقدير لهذا الكتاب ، فنجد كل من المستشرق " فارمر farmer " و " غونبلوم ghornaploume" و " بروكلمان brockelelman " تحدثوا عن قيمة هذا الكتاب .

رغم قيمة الكتاب وأهميته إلا أنه لم يحظ بالعناية الخاصة من طرف الباحثين ، فقد ارتبطت دراسته بروابط وثيقة ، " فالأصفهاني " لم يكن ناقدا نظريا وإنما ناقد علمي وتطبيقي ، تناول في الأغاني أكثر من أربعمائة شاعرا من العرب منذ أقدم عصورهم وحتى نهاية القرن الثالث للهجرة ، وجعل مبناه على الأصوات والمقطعات الشعرية ، ومن خلالها يدرس الشاعر وشعره ، أما عنوان الكتاب الأغاني فنجد الأصفهاني قصد بها الأشعار ، لما للشعر العربي من صلة قوية بالغناء ، فابن خلدون قال في هذا : " وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن ، لما هو تابع للشعر ، إذ الغناء إنما هو تلحينه "[2].

لكن بعض القدماء لم يدركوا هذه الصلة و أن العنوان قد أخل بقدر الكتاب فنجد أبا بكر ابن العربي يقول في ذلك : " هذا كتاب جليل القدر ، كثير العلم ، لم يؤلف قط مثله ، وإنما أخل به اسمه الأغاني ولو قلائد المعاني وشرائف المباني ، لكان أولى "[3].

أبو الفرج الأصفهاني قد تناول في كتابه كل شاعر بصورة مستقلة عن غيره .

فمحمد خير شيخ موسى يرى أن خصائص النقد التطبيقي لا تنطبق على كتاب من كتب التراث أكثر من كتاب الأغاني .وأن صفات الناقد التطبيقي تتجسد في مؤلف كتاب الأغاني ، فالنقاد

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ،المرجع السابق ، ص 46 ، نقلا عن المقدمة ، ابن خلدون ، ص 1070.

[2] – المرجع نفسه ، ص 49 ن قلا عن المقدمة ، ابن خلدون ، ص 1069.

[3] – المرجع نفسه ، ص 49 ، نقلا عن إدراك الأماني من كتاب الأغاني ، عبد القادر سلوي ، 8/1 من النسخة الخطية المحفوظة بخزانة القصر الملكي بالرباط برقم 2706.

التطبيقيين لا يلتزمون بمنهج نقدي واحد ، فالأسس التي استند إليها الأصفهاني في نقده هي : النقد التوثيقي ، دراسة الشخصيات ، تقصى أثر العوامل البيئية المختلفة في الشعر والشعراء ، والنقد الفني ، ويوجد أيضا نقاد تطبيقيين أسلوبا آخر كالموازنة بين شاعرين كما فعل الأموي في الموازنة بين الطائيين ، فهذا أهم كتاب نقدي يبحث في الصراع المحترم منذ القرن الثالث للهجرة حول شعر أبي تمام والبحتري ومذهبهما فيه .

فلآمدي في مقدمة كتابه أوضح طبيعة المنهج الذي اتبعه فقال : " فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكن أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما ، إذا اتفقنا في الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى ثم أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ، ثم أحكم أنت على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء ، وابتدئ بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى ، وما ينعاه بعض على بعض ، لتتأمل ذلك وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شأت أن تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقده "[1].

بدأ هذه الموازنة بعرض حجج التماميين والبحتريين ، ثم انتقل إلى دراسة شعر الشاعرين ، فالآمدي وازن بين الآراء النقدية المتباينة حول الشاعرين ثم وازن بين محاسنهما ومساوئهما .

فالحركة النقدية حول أبي تمام وصاحبه البحتري ظلت محترمة حوالي قرن ونصف من الزمان ، حتى ظهر المتنبي فألف كتب كثيرة حول شعره وذكر محاسنه ورصد سرقاته والدفاع عنه أو التهجم عليه ، ومن أهم هذه الكتب " الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره " و " الرسالة الحاتمية فيما وافق كلام أرسطو من شعر المتنبي " للحاتمي ، وكذا " الكشف عن مساوئ المتنبي " للصاحب ابن عباد وكتاب " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني ، فهذا الكتاب جاء كرد فعل على خصوم المتنبي ، ورد الاعتبار له بعدما طغت الحملة النقدية ضده ، فبهذا الكتاب أراد أن يبين لخصومه بعض محاسنه ، فقد بدأ كتابه بمقدمة طويلة تناول فيها بعض المسائل النقدية ، وأرسى فيها

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 53 ، نقلا عن الموازنة بين الطائيين للآمدي ، 8/1.

بعض مبادئه الأساسية في النقد الأدبي والنظر إلى شعر المتنبي وتكلم في ألفاظ الشعر ومعانيه وقضية الطبع والصنعة فيه ، وعرض عمود الشعر العربي وخصائصه التقليدية . ثم بدأ وساطته بتقسيم خصوم المتنبي إلى فريقين : " أحدهما يعم بالنقص كل محدث ، ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلي وما سلك به ذلك المنهج وأجرى على تلك الطريقة ".

أما الفريق الثاني فهم يعترفون بفضل المحدثين : " حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله وأسمته في عداد من يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور ، ونفر نفار المضيم " [1].

ولا قناع هؤلاء الخصوم بفضل المتنبي فقد عمد الجرجاني إلى مبدأ المقايسة بينه وبين أبي نواس وأبي تمام.

ثم انتقل إلى شعر المتنبي وذكر محاسنه ، فضرب في ذلك عدة أمثلة لتأكيد جودة شعره وحسن مذهبه فيه ، ثم ذكر عيوبه وكشف عن سرقاته ، وفرق بينهما وبين المعاني المشتركة بين الشعراء ، فالجرجاني من خلال هذا الموضوع حاول التماس العذر لشاعره : " إذ كان هذا داء قديم وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمر من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ... ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب وتغيير المنهاج والترتيب "[2].

ثم وقف على المعاني الغامضة في شعر المتنبي وألفاظه الغريبة ، وبهذا يكون الجرجاني أتى من أجل التوسط بين المتنبي وخصومه .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 57، نقلا عن الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، ص 53.

[2] – المرجع نفسه ، ص 58 ، نقلا عن الوساطة ، الجرجاني ، ص 214.

دراسة الفصل الثاني

في النقد التوثيقي عند العرب

يرى محمد خير شيخ موسى بأن الناقد معرض لمجموعة من المصاعب والمشاكل أثناء ممارسته لعملية النقد ، ففي هذه العملية يقوم بطرح عدة أسئلة حول صدق وصحة النصوص الأدبية ودقة نقلها ، فمسؤوليته تكمن في الإجابة عن هذه التساؤلات التي تصيب طريقه وهذا ما يعرف بالنقد التوثيقي ، الذي يشكل الحجر الأساس في كل عمل نقدي منظم ومنهجي ، فكان للنقاد العرب صلة وثيقة بهذا الجانب حيث تبادرت في أذهانهم عدة تساؤلات متعلقة بصحة وصدق ودقة نقل وضبط تراثهم الأدبي فبحثوا من أجل إيجاد أجوبة لذلك ، وكن معظم كتبهم المعاصرة لا تكاد تتجاوز في تناولها ودراستها حدود رواية الشعر العربي وتوثيقه ومن المعروف أن الشعر الجاهلي لم يكن مدونا في كتاب أو صحيفة وإنما تناقله العرب عن طريق الرواية الشفوية ، وهذا ما جعله عرضة للتغيير والوضع والانتحال بفعل عوامل أهمها ما هو متصل بالرواية والرواة أو بالعصبيات القبلية والسياسة قبل الإسلام وبعده ومع بداية عهد التدوين نشأت حركة واسعة تهدف إلى تحقيق الشعر وتوثيقه وتدوينه من طرف عدد كبير من العلماء.

فروي أن حماد الراوية : "كان أول من جمع إشعار العرب وساق أحاديثها" [1]فقام بجمع عدد من القصائد الجاهلية التي تعرف بالسموط أو المعلقات ، والذي اختلف الناس بعد ذلك في شعرائها وعدد قصائدها وأسباب تسميتها

ويقول الكاتب بأن حماد لم يكن موثق الرواية لدى بعض معاصريه ، فنجد المفضل الضبي يقول : " قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا فقيل له : وكيف ذلك ، أيخطئ في روايته أم يلحن فقال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيها ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفات فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 63 ، نقلا عن طبقات فحول الشعراء 47/1.

منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك "[1] كما نجد أبا عمرو الشيباني يقول في هذا الصدد : " ما سئل أبو عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه "[2]

وكذلك نجد تضارب الآراء حول خلف الأحمر فقالوا : "كان يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، ثم نسك "[3] ، بينما قال فيه ابن سلام : "اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر، وأصدقه لسانا ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا ألا نسمعه من صاحبه "[4]

يرى صاحب الكتاب أن أبو عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبي وأبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة معمر بن المثنى من بين العلماء الثقات الذين امتحنوا الأشعار و وثقوا المرويات والأخبار ثم دونوا ما يصح لديهم منها دون أن تكون لهم نظرية واضحة ومدونة في أصول التوثيق والتحقيق وهذا نقص أحس به ابن سلام فحاول التحدث عنه في مقدمة كتابه طبقات فحول الشعراء ، وهذا الكتاب يعتبر كخلاصة لما وثقه شيوخ ابن سلام الجمحي ، فتضمنت مقدمة هذا الكتاب بحثا مطولا في أسباب نحل الشعر ودوافعه ، وأرسى بعض القواعد الهامة في أصول تحقيقه وتوثيقه ومن أهم هذه القواعد التأكيد على أهمية تحصيل المادة قبل الاعتماد عليها مصدرا من مصادر التأليف لدى المؤلفين، وتوثيق هذه المادة ومن هذه القواعد الوثيقة ما يتصل بالرواية وأصولها وما هو مرتبط بالجانب التاريخي .

ثم تحدث عن أسباب نحل الشعر والتي أجملها في النقاط التالية :

- ضياع معظم الشعر القديم وفقدنه بسبب عدم تدوينه في صفيحة أو كتاب ، أو عدم وصول هذه الكتب إلينا .
- انقطاع العرب عن رواية الشعر لانشغالهم بالدعوة الإسلامية والجهاد والفتوح ، ومقتل عدد كبير من رواة الشعر .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شخ موسى ، ص 63 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 88/6 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 63 نقلا عن المرجع نفسه 6 /92.

[3] – المرجع نفسه ، ص 64 نقلا عن معجم الأدباء ، مرجليوث ، 92/6.

[4] – المرجع نفسه ، ص 64 ، نقلا عن طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، 23/1.

- دور العصبيات القبلية في وضع الشعر ونحله والتفاخر به
- دور الرواة في نحل الشعر وافتعاله دفعهم إلى ذلك عدة دوافع مختلفة كالتكسب أو التعب ، " ثم كانت الرواية تزداد في الأشعار التي قيلت"[1].

يبين محمد خير شيخ موسى أن ابن سلام قد أرسى قواعد النقد التوثيقي وبهذا قد يكون خطا الخطوة الأولى في طريق تنظيمه وتدوين أصوله ومبادئه ، ثم أتى بعده نقاد أسهموا في توثيق النقد ، وبعد هذا جاء الجاحظ بملاحظة هي من أبرز المعالم التوثيقية رغم أنها لم تكن منتظمة في سياق واحد ، حيث جاءت عللا شكل تعليقات توزعت في بعض كتبه ورسائله ،ومنها ما هو موجود في" رسالة التربيع و التدوير " إذ يقول مخاطبا مهجوه أحمد ابن عبد الوهاب : " وقد ذكرت الرواة في المعمرين أشعارا وصنفت في ذلك أخبارا ، ولم نجد على ذلك شهادة قاطعة ، ولا دلالة قائمة ، ولا تقدر على ردها بجواز معناها ، ولا على تثبيتها إذا لم يكن معها دليل يثبتها ، وقد تعرف ما في الشك من حيرة ...فخبرني أكذبوا أم صدقوا ، أم اقتصدوا أم أسرفوا"[2].

فهذا النص احتوى على عدة حقائق توثيقية هامة أولها : التأكيد على أهمية التفريق ما بين المادة الأدبية الخام وبين المادة الأدبية المكررة ، أو الموثقة ، ومن بين ملاحظه أيضا ما هو موجود في كتاب العثمانية إذ نجده يقول في تعليقه على صحة بعض [3]الأخبار التي اعتمد عليها في هذا الكتاب " إن الأمور إذا جاءت من ها هنا وها هنا كان اجتماعها دليلا "

فالجاحظ بعد الإجماع والتواتر من أهم القواعد التوثيقية فنجده دعا إلى الأخذ بالشائع المستفيض دون الشاذ الذي لا يعرف ، فنجده يقول :

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 70 ، نقلا عن طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي 47/1.

[2] – المرجع نفسه ، ص 72، نقلا عن رسالة التربيع والتدوير ، الجاحظ ، ص 46 – 47.

[3] – المرجع نفسه ، ص 72 ، نقلا عن كتاب العثمانية ، الجاحظ ، ص 95.

" إن من يجحد المستفيض الشائع بالأسانيد المختلفة في الدهر المتفاوت يوجب على خصمه تصديق الشاذ الذي لا يعرف ولا يدعيه إلا أهل الغلو"[1]، وعند تعدد الروايات واختلافها فيعود إلى القياس فنجده يقول : " القياس أن يؤخذ بأوسط الروايتين ... فتؤخذ أوسطها وهو أعد لها ، وتطرح قول المقصر والغالي "[2]، وعند تجاوز هذه الملاحظ التوثيقية فكثيرا ما نجد الجاحظ يقوم بنقد بعض المرويات نقدا علميا .

وبذلك يكون الجاحظ من أهم النقاد الذين أولوا الجانب التوثيقي عناية هامة ، وأسهموا في تطوير حركته والسير بها خطوات أخرى متقدمة على ابن سلام .

أما كتب النقد النظري المؤلفة في القرن الرابع فقال عنها صاحب كتاب فصول في النقد العربي وقضاياه أن جل اهتمام أصحابها على أصول صناعة الشعر أو النثر وقواعد نقدها وتحليلها ، وتمييز جيدها من رديئها دون اهتمامهم بأصول النقد التوثيقي إلا الشيء القليل وهذا ما نجده في موازنة الآمدي ، هذا الكتاب أبدى فيه الآمدي بعض اهتمامه في النقد التوثيقي ، من خلال حرصه الشديد على توثيق بعض الأشعار المنسوبة إلى الطائيين ، أو تصحيحها وأهم قاعدة استند إليها في ذلك هي الرجوع إلى دواوين الشعراء بنسخها العتيقة ، فنراه يقول : " وكنت أظن أن أبا تمام على هذا نظم هذا الشعر ، وأن غلطا وقع في نقل البيت حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد الصولي وأضرابه فوجدت البيت في غير نسخة مثبتا على هذا الخطأ " [3]

اعتمد في ذلك على خبرته الذاتية ومعرفته بأساليب الشعراء ومذاهبهم من أجل توثيق أشعارهم .

كما يوجد هناك عدة مؤلفات نقدية تعرض فيها أصحابها إلى عدد من الشعراء من مختلف العصور من أجل توثيق أشعارهم وأخبارهم ومن بين هذه المؤلفات كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي يعتبر النقد التوثيقي ركنا من أركان منهجه النقدي وأطلق عليه مصطلح التحصيل ،

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 73، نقلا عن العثمانية ، الجاحظ ، ص 82.

[2] – المرجع نفسه ، ص 73 ، نقلا عن نفس المرجع ، ص 5.

[3] – المرجع نفسه ، ص 76، نقلا عن الموازنة للآمدي ، 205/1.

فهو يسمى الراوية الموثوق به باسم المحصل ، فالتحصيل عنده شرطا أساسيا من شروط الرواية والرواة ، فنراه يقول : " وقد روى بعض من لم تصح روايته أن ... وما وجدنا ذلك في رواية محصن "[1]

فالتحصيل عنده يعني الرواية مع الدراية وهذا ما نجده في قوله : " وليس قوله مما يحصل لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية "[2]

أما عن أسباب نحل الشعر عنده فهي :

- الرواة الذين يصنعون الأشعار ويختلقون الأخبار
- العصبية القبلية التي تدفع بالرواة إلى نحل الشعر والأخبار
- الصراع السياسي فقال عن الوليد ابن يزيد : " وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ، ومن الناس من ينفى عنه ذلك وينكره ، ويقول إنه دخله وألصق به "[3]
- الطبقة المرتفة في العصر العباسي تتخذ لها موالي من الشعراء يقولون الشعر وينسبونه إليهم
- التنافس بين الأدباء والمؤلفين

إغارة الشعراء على بعضهم ونسبه بعض أشعارهم إليهم

كما نجد أبا الفرج تحدث عن اختلاط الأشعار وتداخلها وعدد أسبابها :

➢ **الغناء** :فكثيرا ما يعمد المغنى إلى أبيات من الشعر ويضيف إليها أبيات أخرى لشاعر آخر تتفق معها في الوزن والقافية ، ويصنع منها صوتا أو لحنا فتختلط بذلك الأشعار فنجده يقول : " وقد جعل المغنون معه هذا البيت ولم أجده في ديوانه " [4]

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 78 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 235/7– 236.
[2] – المرجع نفسه ، ص 78، نقلا عن نفس المرجع ، 333/11.
[3] – المرجع نفسه ، ص 80 ، نقلا نفس المرجع ، 2/7.
[4] – المرجع نفسه ، ص 82، نقلا عن نفس المرجع 277/11.

- شهرة الشاعر وغلبته على أقرانه لها أثر في نسبة بعض أشعارهم إليه فيقول الأصفهاني : " وهذه الأبيات يقولها ابن سيحان والناس يروونها لعمر ابن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز "[1]

أما عن منهج أبي الفرج الأصفهاني في النقد التوثيقي فقد تجلت أصوله وقواعده من خلال ممارسته العمل النقدي بصورة تطبيقية ، فقد اختلفت مروياته في الأغاني ، وكانت هذه المرويات موضع ثقة على الدوام ، ومن ذلك قوله في صدر بعض أخباره : " أخبرني أبو خليفة المحمد ابن سلام ، وأخبرني محمد ابن العباس اليزيدي ، وعلي ابن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد ابن حبيب أبي غسان دماذ وابراهيم بن سعدان عن أبيه جميعا عن أبي عبيدة معمر بن المتنى "[2] وأيضا المنحول الذي يذكره فيقول : " وهذه القصيدة مصنوعة ..."[3]ثم أتى بالأدلة والبراهين التي تؤكد صحة ما ذهب إليه في حكمه التوثيقي .

وارتكز منهجه التوثيقي على قاعدتين أساسيتين هما النقد الخارجي والنقد الداخلي .

1. **النقد الخارجي** : وقد قصد به كل ما يحيط بالمادة المروية من ظروف خارجية تتصل بسندها ورواتها ومصادرها و تاريخها من أجل توثيقها .

وأبي الفرج اعتبر السند هو أصل من أصول الرواية ، وحرص عليه فنجده يقول : " أخبرني الحسن ابن علي قال : حدثنا القاسم بن مهروية عن علي ابن الصباح ، وأضنه مرسلا وأن بينه وبين ابن سعيد أو غيره لأنه لم يسمع من علي ابن الصباح ..."[4]

فحرصه الشديد على الأسانيد يرتبط بطبيعة المصادر الثقافية في عصره، كما يربط نقده التوثيقي بروابط متينة ، لما لها من صلة بتوثيق المادة المروية من حيث صحة نقلها وصدق حملتها و رواتها ،

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 83 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 255/2.
[2] – المرجع نفسه ، ص 84 ، نقلا عن نفس المرجع ، 4/8.
[3] – المرجع نفسه ، ص 84 ، نقلا عن نفس المرجع 235/1 ثم 150/14
[4] – المرجع نفسه ، ص 86، نقلا عن نفس المرجع ، 108/19.

والرواة منهم الوضاح المفتعل الذي لم يكن يثق فيهم أبي فرج ومن أهم هؤلاء الرواة ابن الكلبي الذي اتهمه أبي فرج بالكذب فنجده يقول فيه : " وهذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها ، والتوليد بين فيها وفي أشعارها وما رأيت شيئا منها في ديوان دريد على سائر الروايات ، وأعجب من ذلك الخبر الأخير... وهذا من أكاذيب ابن الكلبي "[1]وأيضا الراوي البرمكي الذي هو أجد شيوخ ابن الكلبي أما الفئة الثانية فهي فئة تكتفي بحمل الخبر وتأديته ، فقل تحصيله والتأكد من صحته وصدقه ، ومن هؤلاء الرواة ابن خرداذبة الذي قال فيه أبي الفرج : " وهو قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه "[2]

وأيضا هناك فئة ثالثة من الرواة من أصحاب المذاهب والأهواء وأهل التشعب والعصبية ، وهذا ما ظهر في مروياتهم وتأليفهم ، ومن هؤلاء أبو عبيدة وابن مزروع والهيثم بن عدي ، فنجد أبو الفرج يقول فيهم : "ليست من الأقوال التي يعول عليها "[3]

ظف إلى ذلك هناك فئة أخرى من الرواة الموثوق بهم ومن أمثال ذلك ابن سلام والجاحظ ويحي بن علي واليزيدي وغيرهم ، كان أبو الفرج يعتمد عليهم ويعول على أخبرهم ، فنجده قال في تقريضه لشيخه اليزيدي : " وكان فاضلا عالما ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقي فيما ينقله "[4] ولكن ثقته لم تكن مطلقة بأخبارهم فكان يطعن فيها بعض الأحيان ومثال ذلك نجده في قوله عن أخبار عمر بن شبه : " وقال عمر بن شبه : أم عمر بن أبي ربيعة أم ولد سوداء من حبشة يقال لهم فرسان ، وهذا غلط من أبي زيد "[5].

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 87، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني 40/10 و أنظر 34/12.

[2] – المرجع نفسه ، 87 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 36/1.

[3] – المرجع نفسه ، ص 88 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 77/20.

[4] – المرجع نفسه ، ص 88 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 217/20.

[5] – المرجع نفسه ، ص 88 ن نقلا عن المرجع نفسه ، 1 /65.

كما أتى على تصحيح بعض أوهام الشيباني فقال : " ذكر أبو عمر الشيباني ... وهذا خطأ " [1]

وبعد نقد السند ورجاله ينتقل أبو الفرج إلى نقد المرويات وأول أسلوب في توثيقها هو إيراد الخبر أو النص من عدة طرق كقوله : " أخبرني بخبره الجوهري والمهلبي قال : حدثنا ... وذكر حماد ابن أسحق ... ونسخته أيضا من رواية محمد ابن حبيب قالوا جميعا ..." [2] وهذا هو النوع الصحيح من المرويات في نظره.

ثم تأتي الرواية المفردة واليتيمة فهي ضعيفة لديه ومن ذلك قوله في تصحيح نسبة أبيات من الشعر : " ذكر الزبير ابن بكار أن الشعر لعدي بن نوفل وقيل أنه للنعمان بن بشير وهو أصح : وقد أخرجت أخبار النعمان فيه مفردة وأبو عمر و الشيباني للنعمان ولم يذكر أنها لعدي غير الزبير "[3]

ونجد أبو الفرج يلجأ إلى أسلوب المقابلة والمعارضة ما بين الروايات من أجل توثيقها وهذا ما يوضحه قوله : " أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي قالا ... ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعيد فقابلت به ما روياه فوجدته موافقا "[4] ، فالخبر الواحد يختلف بين الروايات فالأصفهاني يذكرها كلها ويناقشها ويبين أوجه الخطأ فيها، وفي الأخير يوثق إحداها كقصة الأعشى وقصة المخنثين في مكة .

لكن هناك بعض الأخبار المتناقضة التي تتصل بحياة الشعراء أو بعض الأحداث التاريخية التي ترد حولها روايات مختلفة ولم تجد السبيل إلى توثيقها ، فيلجأ إلى الصورة التي تحملها ومن بينها خبر غزو خالد بن الوليد لبني كنانة وما يتصل به من شعر ، إذ روى فيها عدة أخبار مختلفة ومتناقضة .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 89 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 8/21

[2] – المرجع نفسه ، ص 90 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 1 /105 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 90، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني 73/15.

[4] – المرجع نفسه ، ص 90 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 241/16.

يقول الكاتب أن في كتاب الأغاني هناك أخبار يحيط بها الشك مثل خبر بناء جرهم للكعبة وكذلك أخبار لا تدخل في المعقول كأخبار أمية بن أبي الصلت التي ذكرها دون أن يعلق عليها شيء .[1]

ومن بين أساليب النقد الخارجي عند أبي فرج الأصفهاني الرجوع إلى دواوين الشعراء للتأكد من صحة نسبة الأشعار إليهم ، ومن أمثلة ذلك قوله : " الشعر لأبي العتاهية على ما ذكره الصولي ، وقد وجدت هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلم الخاسر "[2].

وأيضا نقده التوثيقي مس دواوين الشعراء والخطوط والكتابات من أجل التأكد من صحة نسبتها إلى أصحابها كقوله :" نسخت من الكتاب أعطانيه أبو الفضل العباسي بن ثوابة بخط اسحق ابن قرطاس ، وأنا أعرف خطه لأنه لو كان خط الكاتب لكان أجود من هذا الخط"[3]

وأيضا من أهم الأسباب في نقده الخارجي الاستدلال بتاريخ النص وما يحيط به من ملابسات وظروف ، فلكل نص ظروف وتاريخ خاص به كما نجده يستدل بالشعر فنجده يقول في هذا : " والشعر يدل على صحة هذا القول ، والقول الأول غلط "[4]

وأحيانا يتجه إلى التاريخ العام من أجل توثيق النصوص وأيضا يلجأ إلى ما يتصل بالجغرافيا ، كما يستعين بعلم الفلك ، وبعلاقات الشاعر ، فالروايات مختلفة ومتعددة وأبو الفرج يرجع روايات أهل الثقة.

النقد الداخلي : ويقصد به فحص المادة الأولية في شكلها ومضمونها من خلال النظر إلى الأسلوب والمذهب والأغراض .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، ص 92، نقلا عن ، المرجع نفسه ، 4/ 124 – 127.

[2] – المرجع نفسه ، ص 93 ، نقلا عن ، المرجع نفسه ، 157/7

[3] – فصول في النقد التوثيقي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 94 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 141/10 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 95 ، نقلا عن ، الأغاني ، الأصفهاني ، 13/ 330 وانظر 17/ 368.

ففي دراسته لشكل المادة الأولية نجده ينظر في مذاهب الشعراء وأساليبهم من أجل استخلاص الحقائق التي يهتدي بها في التوثيق ويعتمد في ذلك على معرفته الواسعة بمذاهب الشعراء وأساليبهم وهذا ما أهله إلى تصحيح عدد كبير من النصوص الشعرية كقوله :" وهذا الخبر موضوع لا أشك فيه ، لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقط سخيف ، لا يشبه نمط الأحوص ، والتوليد فيه بينه يشهد على أنه محدث ، والقصة أيضا باطلة "[1]

أبو الفرج الأصفهاني يرقى إلى درجة عالية من الدقة في البحث والتحري كقوله في توثيق بعض ما نسب إلى طرفة بن العمد : " وما أ ظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه : لأن العلماء من رواة الشعر ردوها ليزيد بن الحكم ، وهذا أبو الزعراء أعرابي لا يحصل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكا فيه ليزيد ، وليس كذلك ، لكان معلوما أنه ليس لطرفة ولا موجودا في شعره على سائر الروايات ولا هو مشبها لمذهب طرفة ونمطه وهو يزيد أشبه ، وله في معناه عدة قصائد يعاتب فيها أخاه منها ... فأما تمام القصيدة التي نسبت إلى طرفة فأنا أذكر مختارها ليعلم أن مرذول كلام طرفة فوقه ... وهذا شعر إذا تأمله من له في العلم أدنى سهم عرف أنه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه " [2]، فهو لم يقتصر على توثيق الشعر فحسب ، بل تعدا توثيقه إلى النثر فنجده يقول في توثيق نسبة بعض الأقوال إلى أحد الكتاب ، وكان كثيرا ما يلتفت إلى أوزان الشعر وقوافيه ، فنجده يقول : " وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي على وزنها وقوافيها لتشابههما فقلما تتميزان " [3]، وأيضا يستدل بحركة القافية وإعرابها في تصحيح بعض الشعر كقوله : " وهذا وهم من النضر لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه محفوظة فأتيت بكل واحدة منفردة ، ولم أخلطها لذلك "[4]، كما أن أبا الفرج نجده قد وجد في أسماء القبائل أو الأمكنة ما يساعد في توثيق بعض المرويات ، يرى محمد خير شيخ موسى بأن الحديث عن نقد أبي الفرج التوثيقي يطول ويتشعب ، وكانت شواهده غزيرة ومتنوعة ،

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، ص 98، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 133/9 وانظر 20/29.
[2] – المرجع نفسه ، ص 98 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 12/ 286 وأنظر 236/7
[3] – المرجع نفسه ، ص 100، نقلا عن المرجع نفسه ، 9/ 208.
[4] – المرجع نفسه ، ص 100 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 56/13.

فبين مفهوم التوثيق والتحقيق ، وعرض أسباب نحل الشعر ودواعي اختلاط الأشعار في نظره ثم أتى إلى تحليل قواعد منهجه التوثيقي إلى أصلين رئيسيين وهما النقد الخارجي والنقد الداخلي .

مناقشة ومقارنة :

كارل بروكلمان karle brockelemane يعود بالكتابة إلى ألف عام قبل الميلاد على الأقل ويذكر بأن أهل اليمن يعرفون الكتابة ويستعملونها في نقش الآثار الدينية والقانونية على الحجارة ، وكذلك في النقوش الصفوية على مقربة من دمشق وكلها مكتوبة بخط قريب من خط الألف باء اليمني قبل الإسلام بزمن طويل ، كما يرى أن مرجليوث margoliouth وطه حسين على خطأ حين أنكرا استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية ، ورتبا على ذلك ما ذهبا إليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهلين مصنوعة عليهم ومنحولة لأسمائهم ،[1] إلا أنه لا يرفض وجود الرواية الشفوية إذ نجده يقول : بأن لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه ، يروي عنه أشعاره وينشرها بين الناس ، وربما احتذى آثاره الفنية بعده وزاد عليها من عنده، ويرى بأن الرواة غيروا بعض أشعار الجاهلية عمدا ونسبوا بعض الأشعار القديمة إلى شعراء الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة منحولة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل [2].

يرى شوقي ضيف أن كثرة الاهتمامات في رواة الشعر الجاهلي لا يجب أن تأخذنا إلى الطعن في الشعر الجاهلي وإنما تطعن على طعن الرواة الثقاة فيه ، نبقي ما رواه الثقات أمثال المفضل الضبي والأصمعي ونهمل منه ما جاءنا منه عن أمثال حماد وخلف الأحمر ، وأيضا ينبغي أن نهمل ما اختلف فيه الرواة ، أما ما اتفقوا عليه أو جاءنا عن أثباتهم فينبغي أن نقبله .[3]

[1] – تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ، دار المعارف، مصر ،ط 1 ، ج (1) ، ، ص 65.

[2] – المرجع السابق ، ص 65.

[3] – ينظر : تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، ، دار المعارف ، مصر ، ط 11، ص 156 – 157.

يعتبر الأصمعي من الرواة الذين يرجع الفضل إليهم في تدوين الشعر الجاهلي تدوينا منهجيا قائما على التوثيق والتجريح .

يقول فيه المبرد : " لم يّر أجد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان به يضرب المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنه الناس ، فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه " [1].

إن النقد التوثيقي هو أساس الموضوعي السليم لكل عمل نقدي منظم ومنهجي ، اعتنى به النقاد القدماء ، وأهمهم ما ذكره محمد خير شيخ موسى في كتابه هذا ، كما ترجع عناية هؤلاء النقاد بتوثيق النص الشعري إلى ظهور الوضع والانتحال .

[1] – تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، ص 154.

دراسة الفصل الثالث

القدم والحداثة في الشعر

يرى الكاتب بأن قضية عصبية القديم أو التعصب على المحدث لم يتطرق إليها نصوص النقد القديمة ، لم تعرف إلا بعد عصر التدوين والتأليف ، فكانت بيئة اللغويين أول من طرح هذه المسألة طرحا نقديا يعتمد على بعض الأسس و المقاييس ، فهؤلاء النقاد اتصلوا بالنقد من باب الاهتمام برواية الشعر والغريب والاستشهاد به ، فقدموا الشعراء الأولين الأقدمين عهدا ، الفصيحين سليمي الألسن والمتمكنين بتقاليد القصيدة العربية ، ومن ذلك قول الأصمعي : "كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن يزيد لمخالفتهما مذاهب الشعراء ، قال : وكان أبو دؤاد على خيل المنذر بن ماء السماء " [1].

وذكر أبو الفرج أن عدي بن يزيد " ليس ممن يعد في الفحول ، وهو قروي ، وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن يزيد في الشعر بمنزلة سهيل في النجوم ، يعارضها ولا يجري معها مجراها ، وكذلك كان عندهم أمية بن أبي الصلت "[2]

ففي البداية كانت هذه المواقف لا تكاد تمس النقد إلا بصورة عارضة ثم تحول الأمر إلى موقف نقدي عام ومحدد في الحكم على الشعراء وتقديمهم على أساس قدم عهدهم فصارت لجاجة كما عبرها عنها ابن رشيق في قوله : " وكان أبو عمرو بن العلاء لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين ، قال الأصمعي : جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي ، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ... وهذا مذهب أبي عمرو و أصحابه كالأصمعي وابن الأعرابي ،أعنى أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم ، وليس ذلك إلا لحاجتهم إلى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ، ثم صارت لجاجة "[3]، فأصبح الأمر لجاجة وأصبح معيار التفاضل بين الشعراء قائما على أساس زمني ولغوي ، فروي عن أبي عمرو قوله : " لو أدرك الأخطل يوما واحد في الجاهلية ما قدمت عليه أحد "[4]

[1] – فصول في النقد العربي القديم وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 107– 108. نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 18/ 377.

[2] – المرجع نفسه ، ص 108، نقلا عن المرجع نفسه ، 97/2.

[3] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 109، نقلا عن العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، 90/1.

[4] – المرجع نفسه ، ص 109، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 8 /285

ونجد الأصمعي يقول : " بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم "[1] .

فالرواة لم يعتدوا إلا مقياس الزمن فحسب بل كان يرو أن شعر المحدثين لا خير فيه على الإطلاق ، ويبدو أن إعجاب هؤلاء العلماء بالقديم مرتبط بدوامهم على روايته وكثرة مدارسهم له ، وهذا ما جعلهم معجبين به ، وما جعلهم يرون الحديث إلى جانبه ليس لديه قيمة ولا أهمية لديهم، وهذا ما يوضحه ابن الأعرابي في قوله : " فأنشده رجل شعرا لأبي نواس فأحسن فيه فسكت ، فقال : الرجل هذا من أحسن الشعر ؟ قال : بلى ، ولكن القديم أحب إلي "[2] ، ولكن أفاد هذه الطبقة وجدوا لأشعار المحدثين صدى طيبا فنجد ابن الأعرابي يقول عن شعر حسين بن الضحاك : " هذا والله كلام قريب مليح " [3] ، وكذلك نجد يونس النحوي يفضل قصيدة لمروان بن أبي حفصة على شعر الأعشى ، وكذلك يفضل خلف الأحمر .

فهذه المواقف لم تخلو من التناقض فنجد أبو عبيدة عندما سئل عن شعر مروان وبشار فقدم بشار لأنه كان من الأوائل ، وفضله كذلك الأصمعي لأنه تفرد بمذهب خاص به .

[1] – فصول في النقد العربي القديم وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ،المرجع السابق ،ص 109، نقلا عن المرجع نفسه ، 143/3.

[2] – المرجع نفسه ، ص 110 ، نقلا عن الموشح المرزباني ، ص 384.

[3] – المرجع نفسه ، ص 111، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 8 /362

يرى محمد خير شيخ موسى أن الشعراء المحدثين كانوا على دراية بتلك المواقف فروي أن ابن مناذر : اتق الله واحكم بين واحكم بني شعري وشعر عدي بن يزيد ، ولا تقل هذا جاهلي وهذا إسلامي ،وذلك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن أحكم بين الشعرين ودع العصبية " [1] ، فهذا الشاعر من المحدثين الذين لم تعجبهم هذه الآراء النقدية حول الشعراء المحدثين والشعراء القدماء ، نجد بعض الشعراء المحدثين ردوا ردودا قاسية على هذه المواقف كأبي تمام الذي رد على قلوبهم : " ما ترك الأول للآخر شيئا "[2] بقصيدة قال فيها :

فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قّرت حياضك منه في العصور الذواه

ولكنه صوب العقول إذا انجلـت سحائب منه أعقبت بسحائـب[3]

وهذا ما يراه محمد خير شيخ موسى سببا لانفصال النقد عن الشعر ، يقول صاحب الكتاب بأن القرن الثاني تميز أعلامه ورجاله بالصنعة اللغوية وقد خلفوا وراءهم مواقف لها أثر في توجيه النقد العربي بعدهم ، ومسألة القدم والحداثة كانت حاضرة في مواقفهم ومن أهم النقاد الذين تحدثوا عن ذلك ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء الذي سار فيه على خطى أسلافه ومشايخه السابقين ، ففي كتابه ذكر الشعراء الفحول المشهورين من الجاهلية ومن الإسلام ، وقسمهم إلى طبقتين وجعل الطبقة الجاهلية سابقة سابقة على طبقة الإسلاميين ، وكان التفضيل عنده على أساس الزمن وقدم العهد ، أما أصحاب المراثي فجعل لهم طبقة مستقلة وقال : " وميزنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات " [4]، ثم جاءت طبقة القرى العربية وذكر أن أشعرهم حسان بن ثابت ثم تلتهي طبقة شعراء اليهود وقال : " إن في يهود المدينة وأكنافها شعر جيد " [5]

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 112 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 174/18

[2] – المرجع نفسه ، ص 112، نقلا عن المرجع نفسه ، 174/3.

[3] – المرجع نفسه ، ص 119، نقلا عن العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، 91/1.

[4] – المرجع نفسه ، ص 114 ، نقلا عن طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، 215/1

[5] – المرجع نفسه ، ص 14'، نقلا عن المرجع نفسه ، 1/ 279

كما نجده ركز في مفهومه للطبقة الشعرية الصغرى على أساس موضح في قوله : " واقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط في كل طبقة متكافئين معتدلين "[1].

وبهذا يكون ابن سلام قد سار على منهج أسلافه ، فاهتم في كتابه على الشعراء الجاهليين والإسلاميين دون سواهم من الشعراء المحدثين .

ولكن الشعر المحدث فرض نفسه على أهل العصر العباسي ، بسبب ما يمثله من مظاهر التغيير الجذري في جميع ميادين الحياة ، وصارت لديه مذاهب ومدارس خاصة به ، والمعتزلة كانت السابقة إلى احتضانه والترحيب به ، ومن أهم النقاد الأسبق إليها الجاحظ فنصر الشعر المحدث ودافع عن شعرائه ورد عن المتعصبين له فنجده يقول : " وقد رأيت أناسا يبهرجون أشعار المولدين ، ويسقطون من رواها، ولم أر ذلك قط إلا في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي أي زمن كان " [2] .

الجاحظ لم يخفي إعجابه بالشعراء المولدين ، فنجده يقول في شعر أبي نواس :" وأنت إذا تأملت شعره فضلته ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أهل البدو أبدا أشعر ، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء فإن اعترض عليك هذا الباب ، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا "[3]، فمذهب الجاحظ لا يتعصب لا للقديم ولا للمحدث لأنه يرى أن الشعر فنا يجب استيقافه على شروطه الفنية .

وبهذا يكون لموقف الجاحظ الأثر في تحول النظرية النقدية ، واستطاعوا المحدثون فرض أنفسهم في الساحة الأدبية ، فظهرت عدة كتب على المحدثين وكتب تجمع بينهم وبين القدماء .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 114، نقلا عن طبقات فحول الشعراء ، الجمحي ، وانظر في مفهوم الطبقة الشعرية لديه مقدمة الأستاذ محمود شاكر للطبقة الأخيرة من الطبقات ، 1/ 65 – 69.

[2] – المرجع نفسه ، ص 116، نقلا عن الحيوان ، الجاحظ ، 130/3.

[3] – المرجع نفسه ، ص 116، نقلا عن المرجع نفسه ، 128./3

فالتعلق بالقديم فقد صداه لدى النقاد ، ولكن هناك من بقى متمسك به ، ويرى بان القصيدة الجاهلية هي النموذج الرفيع للشعر ، ويسر بأن أهل البادية أشعر من المولدين ، بينما حافظ الأعراب على نقاد القصيدة العربية ، وأصالة مذهبها ، وجزالة أسلوبها ، وفصاحة لغتها ، وهذه المواقف كانت هي الأساس للنظرية التوثيقية التي تبناها ابن قتيبة ، فموقفه في النظرية هذه اعتمد على ركيزتين أولهما زمن الشعر ، فرفض عليه في المفاضلة بين الشعراء فنجده يقول في ذلك : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين وأعطيت كلا حظه ، و وفرت عليه حقه " [1]

ابن قتيبة أفض إلى تقدير مبدأ نقدي عام وشامل يصلح لكل زمان ومكان فقال : " ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : " لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم ، كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا "[2]، فابن قتيبة اعتمد على مبدأ الجودة الفنية في تقدير الشعراء بغض النظر عن أزمانهم وعصورهم . حيث يرى أن للقصيدة العربية تقاليدا فنية موروثة ومحددة أوضحها في قوله : " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربيع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له ، عقب بإيجاب الحقوق رحل في شعره .... فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ... بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة "[3]

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 117، نقلا عن الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، 10/1.

[2] – المرجع نفسه ، ص 118، نقل عن المرجع نفسه ، 11/1.

[3] – المرجع نفسه ، ص 119، نقلا ن المرجع نفسه ، 20/1 – 21

فهو بذلك قسم القصيدة غلى الوقوف على الأطلال ثم وصف الرحلة والراحة ثم الدخول إلى الغرض الأساسي في القصيدة وهذا المنهج استوحاه من قصيدة المديح ، ثم دعا الشعراء المحدثين إلى الالتزام بهذه القيود الشكلية وهذا ما نجده موضحا في قوله : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذاهب المتقدمين في هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر ، أو يبكي عند مشيد البنيان لأن المتقدمين وردوا على الأواجن والطوامي ، أن يقطع منابت النرجس والورد لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة [1] وبهذا فابن قتيبة استطاع أن يبدي موقفه النقدي والمتمثل في إلغاء عامل الزمن كمقياسا لتقدير الشعر وتأكيده على الجودة الفنية معيارا نقديا .

ففي القرن الثالث جاء رأي " المبرد" الذي يقول : " ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق فالمبرد كان متأثرا بابن قتيبة ، فالمبرد خص الشعر المحدث بكتاب سماه : " الروضة في أشعار المحدثين " [2]، ذكر فيه المعاصرين ، كما كان معجبا ببعض من أصحاب المذاهب التقليدية من بينهم البحتري الذي قال فيه : " ما رأيت أشعر من هذا الرجل ، ولولا أن ينشدني كما ينشدكم لملأت كتبي من أمالي شعره"[3] ومقابل إعجابه بالبعض كان ينفر من شعر بعضهم الآخر ومن بين من كان ينفر من شعره أبي تمام .

فبعد إلغاء عامل الزمن واستبداله بالمذهب الفني والطريقة الشعرية ، انقسم النقاد بذلك إلى فريقين ، وكانت الأكثرية للفريق المحافظ وهذا ما نجده في موقف ابن المعتز من المحدث والبديع ، فابن المعتز ألف كتاب البديع من أجل إثبات أن المحدثين سلكوا طريق القدماء في شعرهم ، وأن البديع معروف في شعر القدماء فنجده يقول : " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن الكريم ، واللغة ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون : البديع ، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 119، نقلا عن الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، 20/1 – 21

[2] – المرجع نفسه ، ص 121، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 852/8.

[3] – المرجع نفسه ، ص 122، نقلا عن الموازنة ، الآمدي ، 21/1.

تعيلهم وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم ، فعرف في زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودخل عليه [1].

فابن المعتز حاول في كتابه أن ينتصر للمحدث والبديع ، كما دعا إلى استخدامه استخداما معتدلا ، دون الإسراف أو الإفراط كما فعل أبي تمام في بعض شعره فنجده يقول عنه : " ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به ، حتى غلب عليه ، وتفرع فيه ، وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك ، و أساء في بعض و تلك عقبى الإفراط ، وثمرة الإسراف "[2] ، كما حاول ابن المعتز من خلال موقفه استرضاء المحافظين فوقف على الحد الفاصل بين حدود المحافظة والتجديد .

لم تحسم مسالة القدم والحداثة في الشعر مع انتهاء القرن الثالث ، ومع بداية القرن الرابع أصبح من حق المحدث أن يبتكر ويبدع ، ويعبر عن نفسه وعصره والثقافة الجديدة ، فهذا القرن كانت فيه عبقريات شعرية ، وأصبح والنظائر " وغايتهم من ذلك : " إبراز روائع الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين ، حيث وجد المؤلفات أن إقبال الناس على المحدثين قد طغى على كل ما عداه"[3].

ومن بين النقاد الذين طرحوا مسألة القديم والمحدث في القرن الرابع " ابن طباطبا" ، فتحدث عن ذلك في كتابه " عيار الشعر" ففي هذا الكتاب بدأ بالحديث عن القديم وكيف أثر في شعر المولدين ، فبهذا نجده أكد حتمية التأثير والتأثر في العمل الأدبي فقال : " وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم ولطفوا في تناول أصولها منهم ، ولبسوها على من بعدهم ، وتكثروا بإبداعها فسلمت لهم عند إدعائها ،للطيف سحرهم فيها ، وزخرفتهم لمعانيها "[4]

فان ابن طباطبا يعطي الأحقية للسابقين ويولى إعجابه بشعر المحدثين فنجده يقول : " والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من قبلهم ، لأنهم سبقوا إلى كل معنى بديع ، ولفظ

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 123 ، نقلا عن البديع ، ابن معتز ، ص 1.
[2] – المرجع نفسه ، ص 123، نقلا عن البديع ، ابن معتز ، ص1.
[3] – المرجع نفسه ، ص 124 .
[4] – المرجع نفسه ، ص 126، نقلا عن عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ص 8.

فصيح وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة ، فان أتوا بما يقصر عن معاني أولئك ،ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول ، وكان كالمطرح المملول "[1]

أما عن أهم الخصائص التي خص بها الشعر التجديد في المعاني وأساليبه ونجده يبرز هذه الخصائص في قوله : " والشعراء في عصرنا إنما يجابون على ما يستحسنه من لطيف وما يوردونه من أشعارهم ، وبديع ما يقربونه من معانيهم ، وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم ومضحك ما يوردونه من نوادرهم ، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم " [2]

إن ابن طباطبا نصب نفسه معلما للمحدثين والمعاصرين من الشعراء وبين موقفهم من الصولي اتخذ موقف المدافع عنهم فقسمهم إلى مذهبين ، المذهب التقليدي الذي يمثله البحتري وأنصار عمود الشعر ، ومذهب البديع الذي يمثله أبو تمام .

فبعدما انقسم النقاد إلى فريقين جول مسألة القدم والحداثة جاء الآمدي ليوازن بينهما وحاول أن يكون محايدا في ذلك وهذا ما تحدث فيه في مقدمته حيث قال : " ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي لتباين الناس في العلم ، واختلاف مذاهبهم في الشعر ،ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين "[3] ، ثم تحدث عن خصائص شعر كل من الفريقين ثم أوضح منهجه في الموازنة بينهما فقال : " فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكني أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقنا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى و معنى

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 125، نقلا عن عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ص 8.
[2] – المرجع نفسه ، ص 126، نقلا عن المرجع نفسه ، ص 8 .
[3] – المرجع نفسه ، ص 129، نقلا عن الموازنة ، الآمدي ، 5/1.

ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ثم أحكم أنت حينئذ على حملة ما لكل واحد منهما ، إذا أخطت علما بالجيد والرديء.[1]

لقد أكدت انحياز الآمدي للبحتري ، وناصر مذهبه التقليدي في الشعر واستهجن بعض من شعر أبي تمام البديع في شعره ، ثم تحدث عن شاعر العصر أبي الطيب المتنبي الذي كان مذهبه فريدا فتمثلت فيه خصائص القديم والجديد في آن واحد وهذا ما جعله مسألة نقدية في حد ذاته تدور هذه الأخيرة حول أمرين رئيسيين : سرقات المتنبي من القدمين ، وخروجه على مذاهبهم في شعره

فهذه القضية النقدية أثارت أراء نقاد كثيرين ، وكان للمتنبي خصوم وهذا ما جعل الجرجاني يؤلف كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، فبدأ ها بقوله : "إن خصم هذا الرجل فريقان : أحدهما يعم بالنقص كل محدث ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلي ، وما سلك به هذا المنهج ، وأجرى على تلك الطريقة ، ويزعم أن ساقه الشعراء رؤية وابن هدمة وابن ميادة والحكم الحضري ، فإذا انتهى إلى من بعدهم كبشار وأبي نواس وطبقهم ، سمي شعرهم ملحا وطرنا ،واستحسن منه البيت استحسان النادرة ، وأجراه مجرى الفكاهة ، فإذا نزلت إلى أبي تمام وأضرابه نفض يده وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرضوا بيتا قط ، ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد "[2] ، فالجرجاني حاول إقناع هذا الفريق المعادي لشعر المتنبي واتخذ في ذلك الحجة والشاهد في إثبات فضل المتنبي وشاعريته.

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 129، نقلا عن الموازنة ، الآمدي ، 7/1.

[2] – المرجع نفسه ، ص 131، نقلا عن الوساطة ، الجرجاني ، 49.

مناقشة ومقارنة :

إن ظاهرة القدم والحداثة برزت عند العرب كغيرهم من الأمم الأخرى فتعصب فريق منهم للقديم ، وأعرفوا في تأييده ، وعضوا من الجيد وانصرفوا عنه في استعلاء.

نعمة رحيم العزاوي كان من أنصار القديم إذ رأى أن من أسباب التمسك بالقديم والاندفاع القوي في تأييده أن الإنسان إذا ألف شيء أحبه وعز عليه تغييره ، وهذا ما حدث لأنصار القديم في أدبنا العربي بمعنى أنهم ألفوه وتوثقت صلتهم به فضلا عن حاجتهم إليه فيما أقدموا عليه من أعمال علمية تهدف إلى تفسير القرآن وفهم مراميه من جانب و وضع قواعد اللغة واستنباط أصولها من جانب آخر "[1].

أما **الصولي** فقد ذهب إلى تفوق الشعراء المحدثين على القدماء كان في الصياغة لا في ابتكار المعاني لأن " المتأخرين إنما يجرون بريح المتقدمين ، ويصبون على قوالبهم ويستمدون بلعابهم وينتجون كلامهم ، وقل ما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده "[2].

فهو يرى أن المحدثين يريدون أن يجددوا في الشعر رغم سيطرة القديم سيطرة لا يستطيع معها هؤلاء أن يتحرروا منها لو وجدت عندهم الجرأة.

وقد زاد على ذلك بأنه يجب أن لا يفرق القدماء والمحدثين للقدم والحداثة ، مؤكدا على لغة الشاعر وعلاقتها بالمعنى الشعري إذ نجده يقول : " إن ألفاظ المحدثين منذ عهد بشار إلى وقتنا هذا كالمنتقلة إلى معاني أبدع ، وألفاظ أقرب ، وكلام أرق وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء .... وإنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عيانا "[3].

[1] – ينظر : المعنى في النقد العربي القديم ، حسين لفتة حافظ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2014 ، ص 360.

[2] – المرجع نفسه ، ص 371

[3] – المرجع نفسه ، ص 371.

أما **ابن رشيق القيرواني (ت 454)** فقد نظر إلى ما جاء به العلماء السابقون له من الرأي في قضية القدم والحداثة ، فإذا أكثرهم يتعصب للمتقدم ولا يرى للمعاصر أو المتأخر فضلا ورأى علة هذا الميل تعود إلى حاجتهم في الشعر إلى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون .

ويبين ابن رشيق أن القدم والحداثة أمران نسبيان فيقول : "كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى ما كان قبله [1]، وقوله هذا يماثل قول ابن قتيبة في هذه القضية .

[1] – المعنى في النقد العربي ، حسين لفتة حافظ ، ص 377.

الفصل الرابع

السرقات الشعرية

يرى محمد خير شيخ موسى أن مسألة السرقات الشعرية مرتبطة بقضية القدم والحداثة لما لها من صلة قوية بالتقليد ، والاحتذاء ، كما تعود أصول الشعر العربي إلى القدم مر بمراحل طويلة من التطور قبل أن يصل إلينا على الصورة التي نعرفها في شعر امرئ القيس وأضرابه من الشعراء الجاهلين ، وقد استمر في تطوره دون أن يفارق الجديد فيه القديم ، فكانت ظاهرة توارد الشعراء على المعاني وتكرارهم العبارات والأساليب من الظواهر الطبيعية فيه، قبل أن تعرف في مجال النقد العربي بالسرقات الشعرية.

نجد إشارات جديدة إلى هذه الظواهر من خلال الشعر الذي وصل إلينا إذ نجد امرأ القيس يقول[1] :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

ونقرأ في صدر معلقة عنترة قوله[2]:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

ويؤكد هذا كعب بن زهير بأن الأول لم يترك للآخر شيئا فتراه يعيد معاني القدماء ، فقال[3] :

ما أرانا نقول إلا رجيعا أو معارا من لفظنا مكرورا

ويؤكد طرفة ابن العبد انتشار ظاهرة السرق والإغارة فيقول :[4]

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها عنيت وشر الناس من سرقا

[1] – شرح المعلقات العشر ، الزوزني ، دار المجد للنشر والتوزيع ، د ط ، د ت ، ص 184.

[2] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 143، نقلا عن مختار الشعر الجاهلي ، 91/1،

[3] – المرجع نفسه ، ص 144، نقلا عن ديوان كعب ابن زهير ، ص 154.

[4] – المرجع نفسه ، 144، نقلا عن ديوان طرفة ابن العبد بتحقيق الجندي ، 216.

ونجد حسان ابن ثابت ينفي التهمة عن نفسه فيقول[1] :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

يرى الكاتب أن هؤلاء الشعراء استخدموا ألفاظ مختلفة للدلالة على معنى محدد من معاني السرقة الشعرية : كالإغارة و الإعادة و الموافقة .... فكانت هذه الألفاظ أساسا لكثير من المصطلحات النقدية حول السرقة ، وقد ظلت هذه الظاهرة منتشرة في العصر الإسلامي ، واشتهر بها العديد من الشعراء ، على رأسهم الفرزدق الذي عرف بكثرة إغارته على الأشعار وانتحالها .

قال فيه الأصمعي : " إن تسعة أعشار شعره سرقة ، بينما نفي المرزباني ذلك عنه واتهم الأصمعي بالمبالغة في سرقاته ، وعزا ذلك إلى تهجمه على باهلة قوم الأصمعي وهجائه إياهم "[2].

وإن كانت معظم سرقات **الفرزدق** جارية على سبيل الإغارة ، فإن الأخطل قد اتجه إلى السرقة الفنية الذكية وكذا عرف **كثير عزة** بكثرة إغارته على الشعراء وخاصة جميل بثينة فألف الزبير بن بكار كتاب مفردا في سرقاته

وفي العصر العباسي تطورت هذه الظاهرة تطورا واسعا وكبيرا ، وأصبحت لها أصول فنية .

وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار رواة الشعر و علمائه من أوائل النقاد وأهمهم الأصمعي في كتابه " فحولة الشعراء " الذي ذكر فيه إشارات إلى سرقات الشعراء فيقول : " وطفيل عندي أشعر من امرئ القيس ، وقد أخذ طفيل من امرئ القيس شيئا " [3].

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 144، نقلا عن ديوان حسان بن ثابت ، بتحقيق البرقي ، ص 230.

[2] – المرجع نفسه ، ص 145، نقلا عن الموشح ، الفرزدق ، ص 169.

[3] – المرجع نفسه ، ص 147، نقلا عن فحولة الشعراء ، الأصمعي ، ص 09.

أما ابن سلام فتنبه لذلك وقام برد بعض الأشعار المسروقة لأصحابها وحاول تعليل هذه الظاهرة فقال : " وكان قراد بن حنش من شعراء عطفان وكان قليل الشعر جيده ، وكانت غطفان تغير على شعره فأخذه فتدعيه ومنهم زهير بن أبي سلمى"[1].

كما يعد الجاحظ من أسبق النقاد إلى تحليل هذه الظاهرة ، فالتقليد والاحتذاء في نظره أمران ملازمان لطبيعة الأدب ما دام فيه محدث وقديم ، فلا بد للأول من التأثر بالثاني ، فيسرق شعره ، كما يضع أنواع للسرقة : فمنه ما يجري مجرى الاستعانة والاشتراك في المعاني ومنها ما يتعدى ذلك إلى الألفاظ أو الجمل والتراكيب ، وهذا الأخير هو السرق في نظره النقدي .

ألمح المبرد إلى سرقة بعض الشعراء للمعاني البليغة ، فذهب **بدوي طبانة** إلى القول : " إنه أول من فتح باب القول في السرقات في النقد العربي " [2]

أما ابن المعتز فقد ألف كتاب البديع ليثبت فيه بأن البديع كان معروفا لدى القدماء ، كما استحضر شواهد تؤكد سرقة المحدثين لهذا الفن الشعري .

يرى الكاتب أن هذا الموضوع نال اهتمام بعض النقاد لأنهم أظهروا من خلاله كثرة محفوظهم وسعة روايتهم، كما اتخذ أنصار القديم السرقات كحجة لهم على المحدثين لتكشف عن زيفهم وتدل على عوارهم فحين ظهر أبو تمام علما من أعلام المحدث والبديع ، أثار حوله ضجة نقدية كبرى إذ نجد دعبل بن علي الخزاعي يقول : " إن ثلث شعره سرقة وثلثه غث وثلثه صالح " [3].

انتشر التأليف في هذا الموضوع انتشارا واسعا وكان لسرقات أبي نواس وأبي تمام ، والبحتري ثم المتنبي النصيب الأوفر منها ، كما نكشف الكتب التي وصلت إلينا في هذا الموضوع منها عن أربع

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 148، نقلا عن طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ،2/ 733.

[2] – المرجع نفسه ، ص 149، نقلا عن دراسات في نقد الأدب العربي ، بدوي طبانة ، ص 248.

[3] – المرجع نفسه ، ص 150، نقلا عن أخبار أبي تمام ، ص244.

اتجاهات ، يتناول أولها سرقات الشعراء بشكل عام ، أما الثاني يختص بشاعر محدد أو شعراء بأعيانهم ، ويظهر الثالث في كتب النقد التطبيقي كالأغاني والموازنة ... أما الاتجاه الرابع فيتجلى في كتب النظرية النقدية أو البلاغية المختلفة كعيار الشعر ، والصناعتين وغيرها من الكتب التي أولت السرقات عناية نظرية خاصة ،

أما في القرن الرابع أصبح هذا الموضوع أثيرا جدا لدي النقاد والبلاغيين وصارت له رتب ومنازل ، نجد الجرجاني بقول : وهذا باب لا ينهض به الناقد البصير والعالم المبرز ، وليس كل من تعرض له أدركه ، ولا كل من أدركه استوفاه واستكمله ، ولست تعد من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علما برتبه ومنازله "[1]، ومن أوائل النقاد في هذا القرن الذين اهتموا بالسرقات ابن طباطبا في عيار الشعر الذي ربطها بقضية القدم والحداثة في الشعر ، يقول : " وستعثر في أشعار المولدين بعجائب إستفادوها ممن تقدمهم ، ولطفوا في تناول أصولها منهم ، ولبسوها على من بعدهم وتكثر بإبداعها ، فسلمت لهم عند ادعائها " [2]،

أما المهلهل بن يموت بن المزرع فتتبع سرقات أبي نواس نجده يقول :

ما قصر الجود عنكم يا بني مطر ولا تجاوزكم يا آل مسعـــود

يحل حيث حللتم لا يفارقكـتتم ما عاقب الدهر بين البيض والسود

فسرق المعنى أبو نواس فقال في الخصيب :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير [3]

وقد سار المهلهل في تتبع هذه السرقات إذ أنه يرى كل نوع من أنواع الاحتذاء والتقليد إنما هو سرقه ، وكل هذه الأنواع على اختلافها معيبة لديه ، أما الآمدي الذي لم يكن يرى في السرقة عيبا كبيرا ،

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 152 ، نقلا عن الوساطة ، الجرجاني ، 183.

[2] – المرجع نفسه ، ص 152، 153، نقلا عن عيار الشعر ، ابن طباطبا ،ص 08.

[3] – المرجع نفسه ، ص 155، نقلا عن سرقات أبي نواس ، المهلهل ، ص 35.

إلا أنه افتتح موازنة بين أبي تمام والبحتري كما مجده يركز على سرقة المعاني دون غيرها من أنواع السرقة الأخرى .

ولم تكد تهدأ حدة الصراع النقدي حول الطائيين حتى تظهر معركة جديدة ميدانها شعر المتنبي وكونه صاحب شخصية متعالية وجريئة لديها أعداء انعكس ذلك العداء على شعره حيث أفرغ خصومه جهدهم للكشف عن سرقاته وبعد وفاته ألف الجرجاني كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه محاولا إنصاف المتنبي فنجده يتناول في هذا الكتاب موضوع السرق بشكل عام وسرقات المتنبي بشكل خاص ويحاول وضع نظرية عامة ومتكاملة للسرقات تشمل سرقة المعاني وغيرها .

يرى محمد خير شيخ موسى بأن الحاتمي اهتم كذلك بالسرقات فنجده يخصص فصلا كاملا بالسرقات من كتابه " جلية المحاضرة " ويقول في صدره : " هذا فصل أودعته فقرا من أنواع الانتحال والاختزال والاقتضاب والاستعارة والإحسان في السرق و الإساءة فيه ، والنظر والإشارة والنقل والعكس والتركيب والاهتدام والسابق واللاحق والمبتدع والمتبع وغير ذلك من ما يفتقر الأديب المرهف إلى مطالعته ، وجمعت من شتات ذلك مؤونة الطلب والجمع وفرقت بين أصناف ذلك فروقا لم أسبق إليها ، ولا علمت أن أحدا من علماء الشعر سبقني في جمعها "[1].

أسهم أبو الفرج الأصفهاني في موضوع السرقات من خلال كتابه الأغاني ، ميز بين نوعين رئيسيين من السرقة ، يشمل أولهما سرقة الشاعر لمعاني غيره ، أو ألفاظهم وتشبيهاتهم ، والثاني سرقة الفن الشعري أو المذهب الشعري ، والسرقة في مصطلحه النقدي لفظ عام يشمل مختلف أنواع السرقات حيث حصرها صاحب الأغاني في :

الانتحال : ويقصد به ادعاء الشاعر شعر غيره ونسبته إليه ، كما قام بإعادة الشعر المنتحل إلى صاحبه إذ نجده يقول : " الشعر الكثير ، إلا البيت الأول فإنه انتحله وهو للأفوه الأودي "[2].

[1] – فصول في النقد العربي و قضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، 164، نقلا عن حلية المحاضرة ، الحاتمي ، ص 2/ 30- 34

[2] – المرجع نفسه ، ص 171، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني 168/2 وأنظر 102/6. ثم 44/22.

الإغارة : وهي من المصطلحات المعروفة لدى النقاد قبل أبي الفرج وبعده ، فنرى الحاتمي ميز بين نوعين من أنواع الإغارة بين المتعاصرين وهما : إغارة الشاعر على شعر غيره وأخذه برضاه ، أو الإغارة عليه قسرا دون رضاه ، مع علمه بذلك [1].

النقل : نجد معنى النقل عنده بأنه ليس من الضروري أن يكون حرفيا تماما .

التضمين : ويقصد به استحسان الشاعر لشعر غيره وإدخاله له في شعره على سبيل التمثيل دون إدعائه ، يقول أبي الفرج : " الشعر لأمية بن أبي الصلت ، وقيل للنابغة الجعدي وهذا خطأ من قائله ، وإنما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدته على جهة التضمين "[2].

السلخ : يقصد بهذا المصطلح سرقة المعاني الشعرية وسرقة الألفاظ أيضا كقوله : " وقد أخذ البحتري أكثر معانيه فسلخه [3] "

الأخذ : والأخذ مصطلح يستخدم كثيرا للدلالة على السرقة ، استخدمه أبو الفرج للدلالة على نوع من أنواع سرقات المعاني التي هي في نظره أقل درجة من السلخ ، كقوله بعد أن روى أبيات العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنهتا قطعت إليك سباسبا وجبالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

وأخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عيلك الحقائب [4]

[1] – فصول في النقد العربي و قضاياه، المرجع السابق ، ص 172، نقلا عن حلية المحاضرة ، الحاتمي ، 39/2

[2] – المرجع نفسه، ص 174، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 302/17

[3] – المرجع نفسه ، ص 175، نقلا عن المرجع نفسه ، 66/11

[4] – المرجع نفسه ، ص 176 – 177، نقلا عن العمدة ابن رشيق القيرواني ، 38/1، وأنظر 50/16.

الاستعارة : وهي أخذ المعنى وتجويده مما يثير إعجابه وتقديره كقوله :" أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله ... ولعمر لئن كان استعار معناه لقد اطلع به فأحسن وأجاد " [1]

السرق الخفي : وهم من السرقات الذكية الخفية التي تدل على قدرة الشاعر وبراعته .

المصالتة : وهي من قبيح السرق ورد هذا المصطلح عند الأصفهاني على لسان حسين ابن الضحاك في خير يقول : أنشدت أبا نواس قصيدتين :

وشاطري اللسان مختلف التك ربة شاب المجون بالنسك

حتى بلغت قولي :

كأنما نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك

قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيام نفسه :

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

فقلت له : " يا أبا علي هذه مصالته فقال لي : أتظن أنه يروى لك في الخمر معنا وأناحي " [2] .

وهذا هو مجمل ما وقف عليه الكاتب حول ما جاء نحو السرقات الشعرية في كتاب الأغاني إذ نرى أبا الفرج يتجنب استخدام لفظ السرقة غالبا ، كما أن مصطلحاته النقدية عموما غير دقيقة أو واضحة في كثير من الأحيان .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 178، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 127/23.
[2] – المرجع نفسه ، ص 179، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 155/7.

مناقشة ومقارنة :

إن الحديث عن السرقات الشعرية قديم قدم الأدب ، وقد فطن إليها النقاد العرب وعابوها على الشعراء

فمحمد مندور يرى أن أبا هلال العسكري قد وفق قي حل مشكلة السرقات وذلك في تبيين رأيا مفاده أنه يرفض السرقة في المعاني ، وإلى أن يحصر ذلك في الصياغة وطرق الأداء التي تخصص المعنى العام بشاعر بعينه وأنه بنى على هذا الرأي نتائج مستقيمة فيقسم الأخذ إلى أخذ حسن وأخذ قبيح[1].

" والأخذ الحسن هو أن تأخذ المعنى فتكسوه بألفاظ من عندك ليصبح ملكا لك ، والأخذ القبيح أن تعتمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره أو تخرجه في معرض مستهجن " [2]

أما الصولي (ت 335) : فقد لاحظ " أن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعاهما فالسبق لأخذهما سنا وأولهما موتا ، والأخذ ينسب إلى المتأخر وإن كان في عصر ألحق بأشبههما كلاما ، فإن أشكل ذلك تركوه لهما " [3].

أبو الضياء : يقول : "بالسرق لمجرد اتفاق في المعنى أو اتحاد في اللفظ حتى ولو كان المعنى عاما مشتركا وكان اللفظ مباحا سائرا ، وهذا دليل الهوى أو التمحل أو الرغبة في إظهار علم باطل " [4].

[1] – المعنى في النقد العربي القديم ، حسين لفتة حافظ ، ص 261.

[2] – الصناعتين ، أبو الهلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ،ط1، دار إحياء الكتب العربية ، 1952 ، ص 218.

[3] – المرجع السابق ، ص 252.

[4] – النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، 2004، ص 363.

أما في النقد الغربي فقد أطلق على السرقات الشعرية اسم آخر وهو التناص ، وقد ولد هذا المصطلح على يد الباحثة جوليا كريستيفا Joulia kristEva عام 1969 حيث عرفته ب : " التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى ، وهو العلاقة بين خطاب الأنا وخطاب الآخر " [1].

فقد استخدمت جوليا كريستيفا هذا المصطلح في بحوث عديدة فقالت في هذا الصدد : " يتشكل كل نص من قطعة موزاييك من الشواهد ، وكل نص هو امتداد لنص آخر ، أو تحويل عنه transformation وبدلا من استخدام مفهوم الحوار بين شخصين أو أكثر يترسخ مفهوم التناصية ، وتقرأ اللغة الأدبية بصورة مزدوجة " [2].

[1] – ترفيتان تودوروف و آخرون ، في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة أحمد المديني ، دار الشؤون للطباعة والنشر ، د ط ، د ت ، ص 103.

[2] – للنص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي ، ص 38.

الفصل الخامس

المعيار الديني والأخلاقي في النقد العربي

أخطر ما يمكن أن يواجه الناقد في دراسته لشخصية الأديب ، والحكم عليه أثارت هذه القضية التي أثارت جدلا طويلا بين النقاد منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا فجوهرها ينطلق من النظر في دور الأدب في الحياة وعلاقته بالقيم الفكرية والدينية والخلقية ومدى ارتباط الأديب بها ، والتزامه بها في نتاجه الإبداعي، وهي أخطر في نظر محمد خير شيخ موسى ،

أما دور الناقد فينحصر في تفسير هذه العلاقة ، وقد اختلف النقاد حول أهمية حضور هذا المعيار في النقد الأدبي ، ففي هذا المجال نجد **أرستوفانس Arestovanes** أول ناقد يصدر عن المنهج الاعتقادي ويستخدم المعيار الديني والخلقي في الحكم النقدي .

كما نجد **أفلاطون Aflaton** في " **الجمهورية** " يصرح على رأيه الفلسفي بالشعر والشعراء ، فالشعر في نظره لا يهدف إلى امتاع العقل والروح وإغغنائهما بقدر ما يخاطب العواطف والأهواء وعلى أساس هذا الموقف الفلسفي الصادر من القيم النفعية والخلقية نجد أفلاطون يقصي الشعراء من مدينته الفاضلة ، أما تلميذه **أرسطو Aresto** فكان غير مقتنع بآراء أستاذه في الشعر والشعراء ، فحاول معارضة نظريته القائلة بعدم نفعية الشعر ، فهو يرى بأن الأدب يخلصنا من انفعالاتنا وأهوائنا بدلا من تهييجها كما يرى أفلاطون"[1] وبعد قرنين من الزمان يأتي الشاعر الروماني **هوراس Houras** حاول التوفيق بين هاتين النظريتين في منظومته النقدية " **فن الشعر** " إذ يرى أن الأدب يمكن أن يمتع ويعلم في آن واحد ، فتتحقق بذلك المتعة والمنفعة فيه .

في الشعر العربي لم تكن هذه النظرة النفعية أو الخلقية غريبة منذ أقدم العصور ، إذ ارتبطت بالأناشيد الدينية التي كان يرددها الإنسان الجاهلي في المعابد لآلهتهم .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 187، نقلا عن راجع حول فكرة التطهير مقدمة بدوي لفن الشعر

وقد عرف بعض الشعراء الجاهلين بالتزامهم الديني والخلقي أمثال زيد بن عمرو بن نفيل ، و ورقة بن نوفل و أمية بن الصلت.... الذين اعتزلوا عبادة الأوثان ، وكذلك عرف هذا العصر شعراء آخرين معروفين بتعهرهم وعدم خضوعهم إلى المقاييس الخلقية أمثال امرؤ القيس ، الأعشى .... وغيرهم .

فنجد الجذور الأولى للمعيار الديني أو الخلقي تمتد إلى هذه الفترة المبكرة معروفة في كتب الأدب والتواريخ قصة امرئ القيس مع أبيه تحدثنا أن أباه طرده لتعهره في شعره وتغزله بالنساء وإفحاشه في ذلك [1].

وذكر بعد ذلك الكاتب مكانة الشاعر في الجاهلية فإبن رشيق ربطها بما يمكن أن يتحقق للقبلية من منافع ، وقابل هذا الرأي برأي آخر لابن سلام الذي كان يرى أن الشعر العربي مرتبط بالحكمة والعلم والمعرفة ، فالشعر في نظرهما أحد المنافع ، ووجها من وجوه الخير ، وباب من أبواب الحكمة والمعرفة ، وأتى بأمثلة عن ذلك كي يؤكد رأيهما .

وبعد ظهور الدعوة الإسلامية تغيرت حياة العرب ، معتقداتهم وأفكارهم ، فكان لا بد للشعر من مواكبة هذا التغيير حيث يكون للمعيار الديني والخلقي الوزن الأوفى في نقده وتغييره .

يرى الكاتب أن الإسلام يرتبط بالشعر وموقفه من الشعراء بروابط وثيقة ،فهناك من المشركين من اتهموا الرسول بأنه كاذب ، وقالوا ساحر عليم ، ثم قالوا شاعر مجنون وكانت هذه الأخيرة من أقوى التهم لديهم ، إذ كانت معجزة هذا الدين قرآنا بلسان عربي مبين فتوالت آياته تنفي هذه التهمة عن **النبي صلى الله عليه وسلم** ، قال تعالى : { **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين** }[2] ، وقال أيضا : { **وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون** } [3] وهذه الآيات تؤكد حقيقة واحدة فحسب وهي نفي صفة الشعر أو الشاعرية عن القرآن الكريم ،غير أننا نجد سورة

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 189، نقلا عن الشعر والشعراء 41/1 – 42 ، أنظر العمدة 43/1.

[2] – سورة يس ، الآية 69.

[3] – سورة الحاقة ، الآية 41.

كاملة تحمل اسم الشعراء عنوان لها تبدأ بقوله تعالى : { **طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين....**} ، فتحدث هذه السورة أولا عن موقف الرسول من قومه الذين كذبوه واتهموه ، ثم يرد على اتهامهم له والشعراء الذين يتبعهم العاوين الذين هم قوم غير صادقين في أقوالهم وأشعارهم مما يبعد أهل الرشد عن اتباعهم ، فنفى سبحانه بذلك الشعر عن نبيه ، ثم نجد بعد آياته الأولى التي قررت واقع الشعر والشعراء بشكل عام استثناء بإلا يميز بين المؤمنين من الشعراء وغيرهم ممن ذكرت صفاتهم وخصائص أشعارهم مع وجود إشارة إلى شعراء الدعوة الإسلامية الذين دافعوا عن الإسلام بألسنتهم أمثال : عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم : {هؤلاء النفر أشد على قريش من نضج النيل } [1]

من خلال هذا الاستثناء يتحدد المعيار النقدي للشعر من وجهة نظر الإسلام ، فالشاعر المسلم يذكر الله ويدافع عن الدين فيتحول شعره إلى أداة فاعلة مؤثرة في المجتمع الإسلامي ، غير أن هذا المفهوم لا ينفي تعبير الشاعر عن نفسه بأشواقها ونوازعها الذاتية مادامت لا تتعارض في شيء مع قيم الدين الإسلامي ، كما صدر الرسول في موقفه من الشعر فقال : { **إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه** } [2] ، فإن موقفه من الشعراء كان منسجم ، فقرب إليه عددا من الشعراء وأمرهم بقول الشعر دفاعا عن الإسلام والمسلمين ، وكان إعجابه صلى الله عليه وسلم بهذه الأشعار وأصحابها مرتبط بالمعيار الديني والخلقي الذي أقره الإسلام .

أما الصحابة والفقهاء فيذكر محمد خير شيخ موسى بأنهم ساروا على هدي هذه المواقف في علاقاتهم بالشعر والشعراء ، وكان **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه من أكثرهم معرفة به إذ يقول فيه : " وكان شاعرا، وكان من أنقذ أهل زمانه ، وأنفذهم في الشعر معرفة "[3].

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 192 ، نقلا عن العمدة ، 31/1.
[2] – المرجع نفسه ، ص 194- 195 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 27/1 .
[3] – المرجع نفسه ، ص 196 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 33/1.

وعلى الرغم من رأي بعض الدارسين الذين عارضوا أمير المؤمنين بأن مواقفه لا تمثل ما يريده الإسلام من الشاعر إلا أن الكاتب لا ينقص فيها شيء من موقف الإسلام من الشعر.

ويرى أيضا تعلق العرب بعد الإسلام بالشعر وتقديرهم له تقديرا نقديا سليما حتى وإن كان فيه ما يتعارض مع بعض القيم الأخلاقية التي يدعوا إليها الدين الإسلامي .

من أوائل النقاد الذين درسوا هذه المسألة نجد أبا عمرو بن العلاء إذ يقول : "ما أحد أحب إلي شعرا من لبيد ، لذكره الله عز وجل ولإسلامه ، ولذكره الدين والخير ، ولكن شعره رحى بزر" [1]، فهو بذلك يقوم بوضع حد فاصل بين الدين والشعر إلا أنه يرفض الشعر الفاحش الذي يخالف الدين الإسلامي .

أما الأصمعي يرى أن " الشعر نكد بابه الشر " فيعيد سبب ضعف شعر حسان بن ثابت في الإسلام إلى دخوله في باب الخير ، غير أننا نجد له آراء أخرى واضحة تكشف عن التزامه بالمعيار الديني والخلقي في تقدير الشعر والشعراء.

يرى محمد خير شيخ موسى من خلال آراء ومواقف النقاد الذين ذكرهم سابقا في هذه المسألة أن الصراع النقدي حولها اتخذ مسارا جديدا يتم بالحدة ، فانقسم النقاد فيها إلى فريقين : يمثل الأول منها مجموعة من العلماء والنقاد الذين كانوا ينظرون إلى وظيفة الشعر نظرة تربوية ودينية ويحكمون عليه من خلال معاييرها النفعية بينما يرى أصحاب النظرة الفنية والجمالية وأكثرهم من الشعراء أن الشعر انعكاس لوضع حضاري فما الشعر أو الأدب إلا مرآة تعكس صورة الحياة .

كان ابن الأنباري ممثلا للفريق الأول بينما مثل ابن المعتز الفريق الثاني ونطق بلسان الشعراء وكان لكل منهما رأي صريح في ذلك نجد كتاب طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز الذي أولى فيه اهتماما كبيرا بطبقة المجان والموسوسين وأضرابهم من الشعراء [2]، معبرا بذلك عن التحولات الاجتماعية

[1] فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 200. نقلا عن الموشح ، ص 100.

[2] – المرجع نفسه ، ص 206، نقلا عن الطبقات ، ابن معتز ، ص 342.

الجديدة التي بدأت تظهر في المجتمع العباسي و وجدت طريقها غلى الشعر بشكل واضح دون أن يكون لها صدى واسع في النقد الأدبي قبل نهاية القرن الثالث .

ومع بداية القرن الرابع تحولت هذه المسألة النقدية نحو الفصل ما بين الدين أو المذهب أو الأخلاق وبين الشعر ، وأضحت مواقف معظم النقاد مبنية على أساس ذلك ، قلما نجد أثر للمعيار الديني أو الأخلاقي في تقديرهم للشعر .

يعتبر أبو بكر الصولي من أبرز النقاد الذين طرحوا هذه المسألة فهو يؤكد أهمية الفصل ما بين الشاعر وشعره في نظر الناقد ، وأن يكون مبدأه النقدي قائم على استقلال النظرة النقدية وعدم خضوعها إلى المعيار الديني في تقدير الشعر والشعراء .

وقد كان لقدامة بن جعفر رأي واضح في هذا الموضوع يكمن موقفه من انطلاقه من الشعر مباشرة بغض النظر عن الشاعر ، واتخذ من الجودة الفنية وحسن الصياغة والتعبير معيارا نقديا للشعر بغض النظر عن مضمونه.

أما الجرجاني فحاول الجمع بين هذين الموقفين السابقين في موقف واحد يشمل الشعر والشاعر ، فقال في دفاعه عن المتنبي وشعره : " والعجب ممن ينقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة ...ولو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ...ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر "[1]

وفي هذا دلالة كافية على جرأة موقف الجرجاني من هذه المسألة وصرامته في إقرار هذا المبدأ النقدي .

[1] – فصول في النقد العربي و قضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 209، نقلا عن الوساطة ، الجرجاني ، ص 63- 64.

كما لا نجد للآمدي ما يدل على خضوعه للقيم الدينية أو الخلقية في نقده إلا أنه يوجد تردد في موقفه من هذه المسألة إذ نجده يحاول فيه الجمع ما بين الجانب المثالي في معاني الشعر وحق الشاعر في الكلام فيما تختاره من المعاني .

مما سبق نخلص إلى أن معظم نقاد هذا القرن اتخذوا موقفا يقوم على الفصل التام بين الدين والأخلاق وبين الشعر كما وجدت هذه المبادئ النقدية سبيلها إلى كتب النقد العربي ، ومن أكبر هذه الكتب وأهمها كتاب الأغاني الذي يحتوي على دراسة واسعة تشمل عددا كبيرا من الشعراء ، وتتضمن مختارات شعرية كثيرة ومتنوعة لهم ، وكثرة شعراء هذا الكتاب واختلاف عصورهم وأزمانهم وعقائدهم جعلت من هذا الكتاب معرضا حافلا بالعقائد والنزاعات الفكرية ، أما موقف الأصفهاني النقدي من هؤلاء الشعراء جميعا يقوم على أساس استقلال النظرة النقدية ، والفصل التام ما بين دين الشاعر وأخلاقه وبين شعره وتطبيق هذا المبدأ بصورة عملية بعد ذلك ، كما عبر عن التزامه بهذا المبدأ تعبيرا حادا في دفاعه عن ابن المعتز وشعره ضد الطاعنين عليه كما لم يكن لأبي الفرج ميل إلى مذهب الخوارج ، وموقفه الفكري مختلف عن رأيه النقدي في أشعار شعرائه ، وعيدا عن مجال التأثر به فنراه يقول في تقديره النقدي لعمران نفسه : " وهو شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم والمقدمين في مذهبهم " [1] ، كما كان من ألد أعداء الشعوبية في عصره ، وقد شن على أصحاب المثالب والشعوبيين حملة قوية في الأغاني .

وعلى هذا نجد أن موقف أبي الفرج من هذه المسألة النقدية الهامة كان من أوضح المواقف وأكثرها موضوعية في تاريخ هذه المسألة إذ نجد **زكي مبارك** يؤكد على أنه لم يهتم في دراسته للشعر والشعراء في الأغاني إلا بإبراز الجوانب الضعيفة منها ، فكان كتابه الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخاتعة والمجون " [2]، وتابعه في هذا الرأي خلف الله .، دون أن نجد لهذه الآراء ما يؤيدها في كتاب

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 216، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 109/8.
[2] – المرجع نفسه ، ص 216، نقلا عن المرجع نفسه ، 77/20.

الأغاني وفقا على أهم آراء النقاد في القرنين الثالث و الرابع في هذه القضية النقدية التي لا تزال مطروحة في ساحة النقد في عصرنا ، كما لا تزال الآراء حولها مختلفة ومتباينة.

مناقشة ومقارنة :

تعد مسألة ارتباط الشعر بالدين والأخلاق مسألة قديمة ، وتمثل اتجاها في اتجاهات نقد الشعر عند العرب التي وقف عندها النقاد بين مؤيد له وبين معارض ، إذ نجد كثير من النقاد في دراستهم النقدية يقومون بالفصل التام بين الدين والأدب وبين الشعر ، أهمهم ما ذكره محمد خير شيخ موسى في كتابه .

أبو هلال العسكري أيضا كان من المعارضين لعلاقة الدين والأخلاق بالشعر جاء ليردد ما قاله الجاحظ فقال : " وليس الشأن في إيراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتراكيب والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا " [1] تنم على مدى تعلقه وتعلق النقاد بظاهر الكلام وفنيته ، إذ الشأن في جودة اللفظ وصحة السبك ، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا وليس يهم بعد ذلك أكان خيرا أم شرا ، أو كان جيدا أم سيئا [2].

فالعسكري لم ينظر إلى ما كان يقول الشاعر بل إلى طريقة هذا القول ، وقد بدأ هذا الأمر واضحا عند تقويمه بيت امرئ القيس الشائع الفحش :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول[3]

[1] – الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص 58.

[2] – حسين الأسود ، القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المجلد 82، الجزء (4) ، د ت ، ص 801.

[3] – ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، د ط ، د ت ، ص12.

إذ قال : " لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة قال : إني ألهيتها عن ولدها الذي ترضعه ، لمعرفته بشغفها به ، وشفقتها عليه في حال إرضاعها إياه "[1]

قلم يرى العسكري في هذا البيت إلا المبالغة التي تحققت شروطها ، فأبدى اعجابه بها وبقائلها وكأنه لم ينتبه إلى فحش المعنى ورذالته ، فهو يسوغ للشاعر مخالفة الدين على حساب البلاغة ، وعلى هذا النحو درج أغرب النقاد العرب

ابن وكيع التنيسي (ت 393 هـ) أيضا لم يخرج عن نهج السلف السابق بل ردد عبارتهم الشهيرة التي تحولت إلى مبدأ أساسي من مبادئ النقد العربي فقال: " لا يلتمس الصدق من الشعراء ، وإنما يلتمس منهم حسن القول والصدق يلتمس من أخبار الصالحين وشهود المسلمين " [2].

أما **المرزباني (ت 384 هـ)** : فلم يصرح بموقفه من قضية الدين والأخلاق في الشعر ، بل اكتفى بنقل الموقف العام من بيتي امرئ القيس الفاحشين حيث قال : " وعيب أيضا على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره ، كقوله :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول "[3]

بقيت هذه المسألة متداولة حتى القرن العاشر هجري ، إذ نجد **ابن باكثير الحضرمي (ت 975 هـ)** يمثل نقد هذا العصر ، إذ يرى أن القيمة الأخلاقية أو النقد الأخلاقي لا يعنى بالجانب الفني أو الجمالي بقدر وقوفه عند المضامين والأبعاد الخلقية ، لذا فهو يعنى بالمضمون أكثر من عنايته بالشكل أو الصورة ، والشعر عنده ينطلق من العقل الذي يسعى إلى الحسن والكمال لذا نجده ينصح الشاعر بالابتعاد عن المبتذل والساقط من الألفاظ والمعاني ، فيقول : "وينبغي على الشاعر أن يتحاشى عن الألفاظ المبتذلة الساقطة الهافية الركيكة والمعاني السفسافية الدنيئة ، و يأتي بالألفاظ الجزلة الجسيمة

[1] – حسين الأسود ، القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ص 822

[2] – المنصف في نقد الشعر ، ابن وكيع التنيسي ، قرأه وعلق عليه محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ، د ط ، د ت ، ص 87.

[3] – الموشح مآخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة ، مصر ، ص 41.

الفصيحة ، والمعاني الغريبة البديعة الشريفة ، و يتأنق في جميع شعره ، ويبالغ في تحريره ، وتنقيحه وتهذيبه " [1]

بعد النظر في أراء جملة من أشهر النقاد العرب نخلص إلى أن معظم النقاد العرب لم يغيروا وجهة نظرهم بعد مجيء الإسلام ، بل ظلوا ينظرون إلى الشعر الجاهلي على أنه المثل الأعلى وظلوا متمسكين بموقفهم القائم على الفصل بين الدين والأخلاق وبين الشعر .

[1] – ابن باكثير الحضرمي ، الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر ، مجلة أداب المستنصرية ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الإسلامية ، العدد 87، سنة 2019 ، ص 347.

دراسة الفصل السادس

الملامح البيئية في النقد العربي

إن مفهوم البيئة لدى الباحثين يختلف باختلاف الجوانب التي يتعرضون لها في دراستهم ، إذ يتحدد مفهومها في الدراسات الأدبية باحتوائها على مجموع العوامل المكانية والزمانية الأصلية التي تتوافر في بقعة ما ، وهذا ما عاد إليه محمد خير شيخ موسى ، إذ يرى معظم النقاد بأن الأدب صورة تعكس آثار هذه العوامل والظروف البيئية المختلفة ، نجد الناقد الفرنسي هيبولت تين Hipolet tin يرى أن اختلاف الآداب والأدباء يرجع إلى ثلاثة عوامل هي : الجنس أو العرق ، والعصر أو الزمن ، البيئة ، وحدد مفهوم هذه الأخيرة بأنها " مجموعة الظروف التي يخضع لها شعب ما " [1]، إذ أن دراسة الأدب لا يمكن أن نحقق إلا بدراسة شخصية الأديب ، ودراسة هذه الشخصية ما هي إلا دراسة لهذه العوامل والظروف التي أسهمت في تكوينها ، ومما لا شك فيه أن الأدب وليد البيئة وصورتها التي تحكي مختلف مقوماتها وتسجل جميع خصائصها ، ودواعي النقد هي دواعي الأدب دائما ، كان في بداياته لا يتعدى حدود الملاحظة السريعة ، والحكم العفوي المباشر دون أن تخلو هذه الملاحظات من إشارات تدل على تنبه الناقد العربي من علاقة الشعر بالبيئة ، وما خلفته في شخصيات الشعراء وأشعارهم من آثار .

أفصح الحجاج في هذا الموضوع إذ لاحظ تأثير البيئة في لغة الشعراء من أبنائها وأساليبهم ، وأكد على أهمية الأصالة البيئية في صدق الشعور ، ودقة التعبير ، وضرورة ارتباط الشاعر ببيئته وصدوره عنها في شعره .

كما ارتبط مصطلح الفحولة لدى الأصمعي بمفهوم بيئي يقوم على أساس تقسيم الشعراء إلى فحول وغير فحول ، وصفة البداوة هي التي تكسب الشاعر الفحل فصاحة اللغة ، وجزالة الأسلوب ، وخشونة الطبع .[2]

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 224، نقلا عن ، النقد الأدبي ، كارلوني وفليلو ، ص 53.

[2] – المرجع نفسه ، ص 227، نقلا عن انظر فحولة الشعراء في الفصل الأول .

ويقر أيضا بأن البيئة المكانية من أهم أساليب قول الشعر ودواعيه ، إذ يقول : " ما استدعي شارد بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي والمكان الخالي "[1]

نلمح في أوائل الكتب المؤلفة في موضوع النقد الأدبي عند العرب اتجاهات بيئية واضحة تؤكد تنبه أصحابها على علاقة البيئة بالشعر ومدى تأثيرها فيه .

يربط ابن سلام ظاهرة قلة الشعراء في بعض القبائل بأسبابها البيئية وعللها بظرفها الاجتماعي إذ يربط قلة الشعر بقلة الحروب ، نجد الجاحظ يخالفه الرأي فكثرة الشعر أو قلته غير مرتبطة لديه بالحروب والوقائع ، وإنما ربطها إلى ثلاثة عوامل : " الغريزة أو الملكة ، العرق أو الجنس ، و البلد أو المكان "

نظر ابن قتيبة في شكل القصيدة العربية ومنهجها ، وجد أنها تحكي البيئة البدوية بمظاهرها المختلفة ، ومما سبقه الخليل بن أحمد الفراهدي حيث اتجه إلى بيئة الشعر العربي البدوية يستمد منها أسس عروضه ومصطلحاته .

أما ابن طباطبا فقد لاحظ أن أساليب الشعراء العرب في أوصافهم وتشبيهاتهم تنبع من صميم بيئتهم، وترتبط بمدركاتهم الحسية ومشاهداتهم في صحرائهم .

يذكر محمد خير شيخ موسى مسألة الأنساب وطوابعها النقدية ، إذ نجد اهتماما كبيرا من النقاد بقضية الجنس أو العرق الذي في أصله ثمرة المكان والزمان ، كما يرى بعض الدارسين أن من مهام الناقد الأساسية التي عليه مواجهتها ، دراسة نسب الأديب لما له من صلة بشخصيته ونتاجه .

اهتم أبو الفرج الأصفهاني بأنساب شعرائه فمن المعروف أن أخبار كل شاعر في الأغاني تبدأ عادة بذكر نسبه .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 228، نقلا عن العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، 206/1.

تكمن قيمة هذه الأنساب ودلالتها النقدية من خلال الغايات التي يسعى إلى تحقيقها يتصل أولها بنقده التوثيقي ، ويتعلق الثاني بالشاعر نفسه ، ويرتبط آخرها باتجاهات بعض الشعراء ومذاهبهم الفنية ، وكان العرب يعتقدون بإمكانية وراثة الشعر ، وربما كان لمثل هذا الاعتقاد ما يبرره ، بالنظر إلى قوة العلاقات القائمة في المجتمع القبلي ، مما يجعل أفراده خاضعين بقوة مماثلة لمختلف المؤثرات الثقافية السائدة فيه وكان الشعر من أهمها ، يقول ابن سلام " ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون " [1].

وجود شاعر أو أكثر في القبيلة يؤثر في مذاهب بقية الشعراء من أفرادها وأساليبهم ،وذلك ما يفسر لنا اشتهار بعض القبائل بفن شعري معين "كعذرة وبني عامر " التي أجاد شعراؤها فن الغزل .

نظر أبو الفرج في أنساب بعض شعرائه بهذا المنظار فوجد أن ابن ميادة قد " أتاه الشعر من أعمامه من قبل جدهم زهير " [2] ، ونجده يذكر الشعراء من آبائهم وأبنائهم وشيئا من أشعارهم ، وكثيرا ما يعقد موازنة فنية بين شاعر وبعض آل بيته من أصول أو فروع كقوله عن سعيد بن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت : " ولم تكن له نباهة أبيه وجده " [3] .

مما سبق نلاحظ ما للأنساب من قيمة نقدية عند أبي الفرج وما لها من أهمية في دراسة الشعراء وتقصي أصولهم الثقافية ونلمس أثرها في أشعارهم ومذاهبهم الفنية والموازنة بينهم والحكم عليهم .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 236، نقلا عن طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، 24/1.

[2] – المرجع نفسه ، ص 237 ، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 268/2.

[3] – المرجع نفسه ، 238 ، نقلا عن المرجع نفسه ، 269/8.

بعدما ذكر أبو الفرج الأنساب يأتي بعده بذكر المكان إذ أدرك قيمة هذا العنصر البيئي في النقد الأدبي ، وأثره الظاهر في حياة الشعراء وأشعارهم ، فعمد في تحديد أماكن ولادتهم ونشأتهم ومواطن إقامتهم ،كقوله عن محمد بن حازم الباهلي : " وهو من ساكني بغداد ومولده ومنشؤه الكوفة " [1].

تتجلى أهمية هذا التحديد الدقيق في النقد الأدبي من خلال عاملين رئيسيين : يتصل أولهما بمهمة الناقد التطبيقي وحرصه الدائم على ذكر كافة التفاصيل المتعلقة بالشاعر ، ويرتبط الثاني بقدرته على تقصي أثر العوامل البيئية المختلفة في شخصيته وشعره .

كشف أبو الفرج عن حدود مذهب فني متميز في الشعر ألا وهو المذهب البدوي ، ومن خصائصه التي حددها : فصاحة الأسلوب وخشونة الألفاظ ، وقساوة الطبع ، وهذا المذهب يميز أشعار أهل البادية وسكانها وأظهر أثر نقدي من آثار البيئة المكانية في الشعر التي وقف عليها أبو الفرج هو علاقتها بمذاهب الشعراء الفنية ، وأثناء رصده لأثر البيئة المكانية في الشعر والشعراء تنبه لجانب مهم هو أثر المكان في شهرة الشاعر ونظرة الناقد إليه وتقديرهم لشعره ، فلاحظ من الشعراء من هو محسن ومجيد ولكنه لم ينل حظه ونصيبه من الشهرة وحسن التقدير لبعد موطنه عن عواصم الملك ، ومراكز الأدب ومن هؤلاء **ربيعة الرقي** و**أبو الهندي** وغيرهما من الشعراء المغمورين حيث أعطاهم عنايته النقدية وذكر بأن البيئة المكانية هي سبب في خمول ذكرهم وإهمال النقاد لشعرهم .

ورصد أثر هذه البيئة في معاني الشعر وأغراضه لدى عدد من الشعراء من أمثال محمد بن وهب إذ يقول في هذا المجال :[2]

ألا هل إلى ظل العقيق وأهله إلى قصر أوس فالحزين معاد

فلم تنسني نهر الأبلة نيتنة ولا عرصات المربدين بعاد

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 239، نقلا عن المرجع نفسه ، 92/14.

[2] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 244، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 19/ 90 91.

هنالك لا تبني الكواعب خيمة ولا تتهادى كلثم وسعـــاد

أجدي لا ألقى النوى مطمئنة ولا يزد هيني مضجع ومهاد

من خلال ما ورده الكاتب عن صاحب الأغاني فإننا نلاحظ أن للبيئة المكانية أهمية في نقده ، فهو لم يقتصر على ذكرها وتحديدها وإنما كان يتعلق في تقصي آثارها المختلفة في شعره .

أما عامل الزمان في نظر كثير من الدارسين يخضع مفهومه إلى عدة تفسيرات ، يقول شوقي ضيف في ذلك : " تعبير عن أحداث العصر وظروفه السياسية والاقتصادية والثقافية و الدينية " [1]،

وقال أحمد أمين في تفسيره لهذا المفهوم أنه : " روح العصر " [2].

يرى الكاتب أن مفهوم الزمان بالنسبة للناقد يمكن أن يتحدد من خلال النظر في عصور الأدباء وأزمانهم والثقات السائدة إبانها والإحاطة بالمقاييس الخلقية والنقدية التي كان الأديب يجاريها ، والحكم عليه ضمن حدود قيمها ومقاييسها .

كما عمد أبو الفرج إلى تحديد عصر الشاعر أثناء تصديره لأخباره إذ يتضمن هذا التصدير تحديد العصر الشاعر وأيامه ، وإشارة إلى زمانه الأدبي ، وإيضاحا لبعض الظروف التاريخية التي رافقت حياته ، وكان يكتفي أحيانا بالإشارة إلى عصر الشاعر فحسي كقوله عن الأسود بن يعفر : " من شعراء الجاهلية " وابن العزيزة " مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام " [3] ، وغايته النقدية في هذا هي وضع الشاعر في حدود عصره وزمانه إذ نراه ينظر إلى الشاعر بمنظار العصر الذي عاش فيه ويحكم على آثاره من خلال مقاييسه ومعاييره النقدية .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 246، نقلا عن ، في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، 38.
[2] – المرجع نفسه ، ص 246، نقلا عن النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ص 08.
[3] – المرجع نفسه ، 248، نقلا عن الأغاني ، الأصفهاني ، 15/13 – 126/13.

يتحدث صاحب الكتاب عن التيارات الاجتماعية فيقصد بها مجموع ما يحيط بالفرد من تيارات فكرية وسياسية واقتصادية مختلفة تتغير بتغيرها الحياة ، والأدب صورة الحياة الاجتماعية ، إذ لا يعد حدثا فرديا ، بل هو حدث اجتماعي يرتبط في شكله ومضمونه واتجاهاته الفنية بظروف المجتمع وتياراته المختلفة ، وأنصار النقد الاجتماعي مهمتهم تنحصر في البحث من أثر هذه الظروف والتيارات في ميول الأديب الفنية واتجاهاته الفكرية ، ويهتمون بوصف الجو الحضاري العام الذي عاش فيه الأديب .

أولى أبو الفرج هذه التيارات عناية فائقة من خلال وصفه الشامل لها ، ورصده لآثارها في أساليب عدد من الشعراء ومذاهبهم الفنية ، إذ نجد طه إبراهيم يقول في نقده : " وبعيدا جدا أن يريد أبو الفرج بكل هذا الذي يورده مجرد السرد والأخبار المحض ، وما نظن أنه ينبغي من ذكره إلا تصويره التيارات الأدبية وطرق الشعراء " .[1]

يرى محمد خير شيخ موسى من خلال الملاحظات التي قدمها أبو الفرج ، إشارات واضحة إلى أثر التكسب في مواقف بعض الشعراء ، فشهرة الشاعر أو خموله كثيرا ما ترتبط بمدى صلته برجال الحكم ، كما كان الأصفهاني يؤسس بعض أحكامه النقدية على الشعراء على أساس صلتهم بالخلفاء والرؤساء ، ولعل اهم ما يمكن أن نقف عنده من آثار البيئة الاجتماعية وطوابعها في نقد أبي الفرج هو موقفه من أثر الطبقة الاجتماعية في الشعر ، وآراؤه العميقة والمتقدمة حول طبيعة العلاقة بين هذه الطبقة واتجاهات بعض الشعراء الفنية وأساليبهم .

[1] – فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، ص 254، نقلا عن تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه إبراهيم ، ص 160.

يقوم أبو الفرج بتحليل خصائص بعض الشعراء الفنية وميزات أشعارهم في ضوء العلاقة بينها وبين طبقتهم الاجتماعية ، وأثرها في نتاجهم الأدبي ، كما أكد مفهوم الواقعية في الشعر وهي في نظره مرتبطة بثلاثة عناصر هي : الأثر وبيئته ومتلقيه ، فكلما تحقق التناسب والانسجام بينهما تعمق مفهوم الواقعية وترسخ ، فالشاعر ابن بيئته ، و وليد عصره ، وربيب مجتمعه ، ولكل بيئة أشكالها ، ولكل مجتمع لغته ، ولكل عصر قيمته الفنية ، وليس على الشاعر أن يعدل عن معطيات هذه العناصر البيئية إلى غيرها فيبتعد عن واقعه البيئي ، ويفقد ثقة جمهوره وتقديره .

ومن خلال النظرة المجملة حول أثر العوامل البيئية في نقد أبي الفرج يلاحظ الكاتب أن اهتمامه بهذا الجانب النقدي العام لم يكن وصفيا يعتمد على الرواية والخبر فحسب ، ولكنه كثيرا ما يتعدى الوصفية إلى المعيارية فيجمع بينهما في آن واحد ، وقد استطاع بذلك أن يحقق خطوات متقدمة وأصيلة في تراثنا النقدي .

مناقشة ومقارنة :

تعد البيئة من العوامل المحيطة المهمة التي تؤثر في الشاعر العربي القديم ، حيث أنها تشكل مصدر إلهامه .

لئن صدقت نظرية (**تين Tine**) في أن أدب كل عصر وكل أمة نتيجة للبيئة الطبيعية والاجتماعية للأمة ، فهي عند العرب في الجاهلية أصدق ، وقديما قال العرب : " إن الشعر سجل العرب " ولو توسعوا قليلا لقالوا أيضا : " إن الأدب على العموم سجل لهم ، وليس الشعر وحده ، فالأدب العربي الجاهلي نتيجة صادقة لبيئته، وحياتهم الطبيعية جعلتهم يقصدون إلى أغراض معينة استلزمتها الحياة الصحراوية في البادية والتي تشبه الصحراوية في المدن ، فعواطفه وعقليته وأسلوبه نتيجة لنوع حياته ، فالحياة عنده قاسية مجدبة ، وهو في هذه الحياة المجدبة كان يغني وفقا لقانون التعويض ، كالذي نراه في بيئاتنا من أكثر الناس بؤسا في الحياة وأشدهم ولعا بالتغني ، ليروح عن نفسه وقد كان العربي يغني لنفسه ويشارك في غنائه ناقته أو جمله [1].

كما كانت بيئات الأدب والنقد : الحجاز ، والعراق ، والشام ، كان لكل أدب ونقد في هذه البيئات لون خاص متأثر بالحالة الاجتماعية والبيئية الطبيعية "[2].

تحدث القاضي الجرجاني عن أثر البيئة في تفاوت شعر الشعراء فأرجع جزالة أساليب القدامى إلى العادة والصنعة ، وهما أمران عامان ، فمن ثمة عوامل خاصة تدخل في فخامة الأساليب ورقتها ، ويذكر القاضي من ذلك الطبيعة الخصبة ، والبيئة من بادية وحاضرة ، والحالة النفسية التي تتملك الشخص ، فهو يرى أن **عدي بن يزيد** وهو ابن الحاضرة ، على جاهلية أرق من **الفرزدق** ابن البادية

[1] – النقد الأدبي ، أحمد أمين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، 2012، ص 357.

[2] – المرجع نفسه ، ص 361.

وهو في الإسلام ن وهو في هذا يخالف الجاحظ الذي يرى أن الأعرابي في أي زمان ومكان أشعر من المولد في إي زمان ومكان [1].

القاضي ربط بين الفن والمجتمع الذي يعيش فيه الشاعر ويقدم توصيفا على قدر كبير من الأهمية في موضوع الجمال الفني وتأثره بالحياة الاجتماعية والبيئية والطبيعة الشخصية .

من خلال ما تقدم نرى أن الشاعر العربي تأثر بالبيئة تأثيرا كبيرا ونجد هذا واضح في شعره ، فقد تأثر بالصحراء ، والجبال ، والجمال ... كما نرى أن الشاعر العربي القديم ابن بيئته ، و وليد عصره ، وبيئته هي المصدر الأول لإلهامه .

[1] – عامر أحمد ، رسالة ماجستير ، مناهج النقد العربي عند العرب في القرن الرابع هجري ، إشراف : محمد بن سعيد ، جامعة وهران ، سنة 2015، ص 174.

نقد وتقويم

1 – مدى تطابق العنوان مع المتن :

إن كتاب فصول في النقد العربي وقضاياه لمحمد خير شيخ موسى من الكتب التي تناولت عددا من القضايا التي شغلت بال النقاد العرب القدماء ، ولا زالت لها أصداء قوية ومؤثرة في عصرنا الحديث ، وهذا ما نلاحظه من خلال عنوان الكتاب الذي تطابق تماما مع متن وصلب الكتاب ، فاختيار المؤلف لهذا العنوان كان مقصودا ، نسق بينه وبين محتواه ، فالقارئ عندما يلاحظ العنوان يستطيع أن تتبلور لديه الأفكار حول الكتاب .

فبعد تصفحنا للكتاب وجدنا أن عنوانه عبارة عن مرآة عاكسة لما يحتويه الكتاب ، لذلك يمكننا القول بأن العنوان يتطابق كل التطابق مع محتوى الكتاب.

2 – الحكم على الكتاب في الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه :

يعد هذا الكتاب الذي بين يدينا دراسة شاملة لأهم القضايا النقدية ، وهذا ما جعل هذه الدراسة النقدية تنتمي إلى الحقل النقدي .

2. 2 – الآليات المنهجية المستعملة في الكتاب :

أ – الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي .

ب – بالنسبة للمادة المعرفية فهي موافقة لكل الدراسات ، حاول الكاتب تحليلها وتبسيطها حسب مستوى المتلقي .

ج – فيما يخص الشواهد ، وظف المؤلف العديد من الشواهد .

د – أما البيبليوغرافيا نجد الكاتب استقى معلوماته من عند العديد كم المؤلفات أهمها :

1-الأغاني ، أبي الفرج الأصفهاني ، دار الكتب الكاملة ، القاهرة ، 1927-1974.

2- الإمتاع والمؤانسة ، أبي حيان التوحيدي ، (نحو 400 هـ) ، تحقيق أحمد أمين والزين ، القاهرة ، 1939- 1944.

3- البحث الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، 1972.

4- البديع ، ابن المعتز (296 هـ) ، تحقيق كراتشكوفسكي ،

5- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان (1956 م) ، ترجمة ، عبد الحليم النجار ، ط 3 ، دار المعارف ، مصر ، 1974.

6-تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه إبراهيم ، دار الحكمة ، دمشق ، 1974.

7- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، مصورة ، بيروت .

8- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي (232 هـ) ، تحقيق محمود شاكر ، القاهرة ، 1974.

9- الفهرست ، ابن النديم (380 هـ) ، ط 1 ، التجارية ، القاهرة .

10- الصناعتين ، أبو الهلال العسكري (395 هـ) ، تحقيق البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1952.

11- عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي (322هـ) ، تحقيق الحاجري وسلام ، القاهرة 1956.

12- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (626هـ) ، تحقيق الرافعي ، دار المأمون ، مصر ، 1936 – 1938.

13- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني (692 هـ) ، تحقيق أبي الفضل والبجاوي ، ط 3 ، القاهرة .

3- الإضافة النوعية التي جاء بها الكاتب :

فيما يخص الإضافة النوعية التي جاء بها المؤلف لا تتعدى التوضيح ، والتبسيط للقضايا النقدية في كتابه هذا .

4- الاعتراضات والانتقادات التي وجهت للكتاب والكاتب :

من خلال بحثنا هذا ودراستنا له لم نلحظ أية دراسة قد تناولته بالسلب ، على العكس فهو مجموعة من المحاضرات النقدية التي يستطيع الرجوع إليها كل طالب وباحث في مجال النقد الأدبي .

خاتمة

خاتمة

تناولت فصول الكتاب عددا من القضايا النقدية التي شغلت النقاد العرب القدماء ، ولازالت لها أصداء قوية و مؤثرة في عصرنا الحديث ، حيث اهتمت برصد حركة تطورها ، والكشف عن مناهجهم وأساليبهم في دراستها وتحليلها ، والوقوف على آرائهم المتباينة فيها ، ومواقفهم المختلفة منها .

ومن خلال دراستنا لهذا الكتاب نرى أن القرن الرابع هجري خلف مجموعة من الكتب النقدية المختلفة الاتجاهات ذات الطابع النظري ويمثلها " عيار الشعر " لابن طباطبا و " نقد الشعر" لقدامة ابن جعفر " ، وذات الطابع التطبيقي المتمثلة في " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " للآمدي و " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني .

إن الناقد معرض لعدة صعوبات ومشاكل أثناء ممارسته لعملية النقد متعلقة بصحة وصدق النصوص الأدبية ، كما تعود عناية النقاد بتوثيق النص الشعري إلى ظهور الوضع والانتحال .

إن قضية التعصب على المحدث في نظر محمد خير شيخ موسى لم تتطرق إليها نصوص النقد القديمة إلا بعد عصر التدوين ، كما يربط مسألة السرقات الشعرية بقضية القدم والحداثة .

إن ارتباط الشعر بالدين والأخلاق مسألة قديمة واجهت الناقد في دراسته لشخصية الأديب والحكم عليه.

إن العلاقة بين الشاعر وبيئته علاقة تكاملية لا يمكن الفصل بينهما ، حيث تعتبر البيئة المصدر الأول لإلهام الشاعر ، كما يعتبر الشاعر ابن بيئته ، وليد عصره .

ومن خلال دراستنا لكتاب فصول في النقد العربي وقضاياه نرى بأنه عبارة عن محاضرات مفصلة للعديد من القضايا النقدية المهمة ، بسطها محمد خير شيخ موسى وقام بدراسة كل قضية لدى عديد من النقاد والمقارنة بينهم .

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام :

- **الأصمعي** : هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيان بن سعد بن عبد عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن تدار بن معد بن عدنان المعروف بالأصمعي الباهلي (123م – 216هـ) .[1]
- **ابن المعتز** : هو أبو العبا عبد الله بن المعتز ، ولد عام 227هـ ، له عدة مؤلفات نقدية أهمها طبقات الشعراء ، والبديع ، وسرقات الشعراء (ت 909م – 269هـ) .[2]
- **ابن طباطبا** : هو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي (ت 934تم- 322هـ) ، من أشهر كتبه " عيار الشعر " [3].
- **أبو الفرج الأصفهاني** : هو أبو الفرج علي بن الحسين المرواني ولد بأصفهان (284هـ) ، روى الأنساب والأشعار وتوسع في النجوم والسيد و البيطرة والطب ، (ت 356هـ).[4]
- **الآمدي** : هو أبو القاسم الحسن بن بشر وينسب إلى مدينة آمد ، من أهم مؤلفاته الموازنة ، (ت 980م – 370هـ) .[5]
- **القاضي الجرجاني** : هو علي بن عبد العزيز بن الحسن بن اسماعيل الجرجاني ، من أهم كتبه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " (ت 1002م – 392هـ) .[6]

[1] – ديوان الأصمعيات ، ابن سعيد عبد الملك بن قريب ، دار صادر ، بيروت ، ط 3، 2011، ص 7.
[2] – النقد العربي القديم ، سامي يوسف أبو زيد ، دار المسيرة ، عمان ، ط1، 2013. ، ص 118.
[3] – المرجع نفسه ، ص 129.
[4] – تالريخ الأدب العربي ، أحمد الزيات ، دار المعرفة ، لبنان ، ط 14، 2011، ص 265.
[5] – المرجع السابق ، ص 150.
[6] – المرجع السابق ، ص 219.

- **ابن قتيبة** : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري والكوفي ، ولد عام (213هـ) ، وهو من أصل فارسي لقب بالدينوري نسبة إلى مدينة دينور ، (ت 276هـ) .[1]
- **المبرد** : أبو العباس المبرد ، صاحب كتاب الكامل ، (ت 286هـ) .

[1] – تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري ، أحمد إبراهيم ، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 50.

قائمة المصادر والمراجع

أ. القرآن الكريم

ب.المصادر والمراجع:

1-تاريخ الأدب العربي ، أحمد الزيات ، دار المعرفة ، لبنان ، ط 14، 2011.

2-تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعرفة ، لبنان ، ط 14، 2011.

3– تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 11.

4– تاريخ الأدب العربي ،كارل بروكلمان ، دار المعارف ، مصر ط 5، ج 1، **119**.

5-تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع ، أحمد إبراهيم ، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، د ط ، د ت .

6-ديوان الأصمعيات ، ابن سعيد عبد الملك بن قريب ، دار صادر ، بيروت ، ط 3 ، 2011.

7-ديوان امرؤ القيس ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، د ط ، د ت .

8-ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، ط 3، 2011.

9-الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء للكتب العربية ، القاهرة ، ط 1، 1952.

10– فصول في النقد العربي وقضاياه ، محمد خير شيخ موسى ، دار الثقافة ، ط 1 ، 1984.

11- في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الحديث ، تودوروف وآخرون ، تر: أحمد المديني ، دار الشؤون للطباعة والنشر ، د ط ، د ت .

12- المعنى في النقد القديم ، حسين لفتة حافظ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2014.

13- المنصف في نقد الشعر ، أبو محمد الجسن بن علي بن وكيع التنيسي ، قرأه وعلق عليه محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ، د ط ، د ت .

14- الموشح ، مآخذ العلماء على الشعراء ، أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، تح : علي محمد البجاوي ، دار النهضة ، مصر ، 1965.

15- النقد الأدبي ، أجمد أمين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، 2012.

16- النقد العربي القديم ، سامي يوسف أبو زيد ، دار المسيرة ، عمان ، ط 1، 2013.

الرسائل الجامعية و المجلات :

1-عامر أحمد رسالة ماجستير ، مناهج النقد العربي عند العرب في القرن الرابع هجري ، إشراف محمد بن سعيد ، جامعة وهران ، 2015، ص 174.

2- القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم ، حسين الأسود ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مجلد 82، ج: 4 ، د ت .

3- الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر ، ابن باكثير الحضرمي ، مجلة آداب المستنصرية ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الاسلامية ، العدد : 87، 2019.

المواقع الإلكترونية :

1-WWW.awu.sy

فهرس الموضوعات

الفهرس

. شكر وتقدير.

. مقدمة.....أ–ب

. مدخل.....4–8

الفصل الأول : معالم الحركة النقدية عند العرب وتطورها حتى القرن الرابع 11–21

الفصل الثاني : في النقد التوثيقي عند العرب 23–34

الفصل الثالث : القدم والحداثة في الشعر.....36–46

الفصل الرابع : السرقات الشعرية.....48–56

الفصل الخامس : المعيار الديني والأخلاقي في النقد العربي.....58–66

الفصل السادس : الملامح البيئية في النقد العربي.....68–76

نقد وتقويم.....78–80

خاتمة.....82

فهرس الأعلام.....84–85

قائمة المصادر و المراجع.....87-88

الفهرس.....90